كِتَابُ التَّوْحِيدِ
فَضْلُ التَّوْحِيدِ

 [1]

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَامِلُ الْعَلَّامَةُ الْقُدْوَةُ الْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ الْبَغْدَادِيِّ أَدَامَ اللهُ النَّفْعَ بِهِ . آمِين [2] .

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ : يَا مُعَاذُ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ : يَا مُعَاذُ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ : إِذًا يَتَّكِلُوا فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا [3] [4] .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ : إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ [5] .

---

1 - ثبتت البسملة في المخطوط وجميع النسخ ما عدا نسخة (ز) . وفي نسخة (ش) هو حسبي وبه أستعين . وباقي النسخ " وبه نستعين " ما عدا نسخة (ز) .

2 - كذا بالمخطوط وفى نسخة (ش) قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام زين الدين ابن رجب - رحمة الله تعالى - والظاهر أن ذلك من صنيع النُّسَّاخ.

3 - كذا وقع في مخطوطتنا وفي نسخة (ع) و(س) وباقي النسخ (لبيك يا رسول الله).

4 - أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا 1/41 وفي كتاب الجهاد / والسير/ باب اسم الفرس والحمار 3/216 وفي كتاب اللباس / باب إرداف الرجل خلف الرجل 7/68 . ومسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (32) .

5 - أخرجه البخاري في كتاب الصلاة / باب المساجد في البيوت 1/110 وفي كتاب التهجد / باب صلاة النوافل جماعة 2/56 وفي كتاب الرقاق / باب العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى 7/172 ومسلم في كتاب المساجد / باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر رقم (657) (263) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ بِالشَّكِ [1] ﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي [غَزَاةٍ] تَبُوكَ فَأَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ قَالَ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ قَالَ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ ﷺ [2] [3] [4] .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ . قَالَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ ﷺ [5] .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُبَادَةَ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿ مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ [حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ] ﷺ [6] .

---

1 - الشاكُّ هو الأعمش كما في صحيح مسلم 1/56 .

2 - كذا وقع هنا وفي بعض النسخ [غزوة] .

3 - النطع : المُتَّخذ من الأديم - معروف - وفيه أربعة لغات : فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها . والجمع : أنطاع ونطوع . المصباح المنير ص 611 .

4 - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (45) وأحمد في المسند 3/11 .

5 -

6 -

وفِي [الصَّحِيحَيْنِ] [1] عَنْ عُبَادَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﷺ مَنْ شَـهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُـولُهُ وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَـا إِلَـى مَرْيَـمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ 36 وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّـةَ عَلَـى مَـا كَـانَ مِنْ الْعَمَلِ ﷺ [2] .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرةٌ جِدًّا يَطُولُ ذِكْرُهَا .

أَهْلُ اَلتَّوْحِيدِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي اَلنَّارِ وَإِنْ دَخَلُوهَا

وَأَحَادِيثُ هَذَا اَلْبَابِ نَوْعَانِ :

أَحَدُهُمَا : مَـا فِيـهِ أَنَّ مَـنْ أَتَـى بِالشَّـهَادَتَيْنِ دَخَـلَ اَلْجَنَّـةَ ، أَوْ لَـمْ يُحْجَبْ عَنْهَا؛ ؛ وَهَذَا ظَاهِرٌ؛ فَإِنَّ اَلنَّارَ لَا يَخْلُدُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اَلتَّوْحِيدِ اَلْخَالِصِ، وَقَدْ يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ وَلَا يُحْجَبُ عَنْهَا إِذَا طَهُرَ مِنْ ذُنُوبِهِ بِالنَّارِ .

وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ مَعْنَاهُ : أَنَّ اَلزِّنَا وَالسَّـرِقَةَ لَا يَمْنَعَـانِ دُخُـولَ اَلْجَنَّـةِ مَعَ اَلتَّوْحِيدِ، وَهَذَا حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ [3] لَيْـسَ فِيـهِ : أَنَّـهُ لَا يُعَـذَّبُ يَوْمًـا عَلَيْهِمَا مَعَ اَلتَّوْحِيدِ .

وفِي مُسْنَدِ اَلْبَزَّارِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : ﷺ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ ، يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ ﷺ [4] .

---

1 - أخرجه البخاري في كتاب اللباس / باب الثياب البيض 7/43. ومسلم في كتاب الإيمان / باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة رقم (154) وأحمد في مسنده 5/166 .

يقال : "رغم أنفه رغمًا" : إذا ساخ في الرغام وهو التراب ، ثم استُعْمِل في الذل . "الفائق" في غريب الحديث للزمخشري 2/68 . والرَّغَام: بالفتح التراب . ورغم أنفه رَغْمًا مـن باب قتل ، ورَغِمَ من باب تعب . لغة كناية عن الذل ، كأنه لصق بالرغام هوانا . ويتعدى بالألف فيقال : أرغم الله أنفه وفعلته علـى رغـم أنفـه بالفتـح والضـم .أي علـى كُـرْهٍ منـه . "المصباح المنير" ص 231 للفيومي .

2 - كذا وقع هنا وهو الموافق لما في صحيح مسلم، وفي بعض النسخ [حرمه الله على النار] والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / بـاب الـدليل علـى أن مـن مـات علـى التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (47) .

3 - كذا وقع، وهو الصواب، وفي بعض النسخ [في صحيح مسلم] فالحديث عند البخاري أيضًا رحمه الله .

4 - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله عز وجل : {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم} 4/139 . ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن مَن مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (46) . قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص 72 قوله : "من شهد أن لا إله إلا اللـه " أي : مَن تكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملا بمقتضاها باطنًا وظاهرًا ، كما دلَّ عليه قوله تعالى : { فاعلم أنـه لا إلـه إلا اللـه } [محمـد:20] وقـوله : { إلا مـن شـهد بـالحق وهـم

وَالثَّانِي : مَـا فِيـهِ أَنَّـهُ يَحْـرُمُ عَلَـى اَلنَّـارِ، وَهَـذَا قَـدْ حَمَلَـهُ بَعْضُهُمْ عَلَى اَلْخُلُودِ فِيهَا ، أَوْ عَلَى نَارٍ يَخْلُدُ فِيهَا أَهْلُهَـا ، وَهِـيَ مَا عَدَا اَلدَّرْكِ اَلْأَعْلَى ، فَإِنَّ اَلدَّرْكِ اَلْأَعْلَى يَدْخُلُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ عُصَاةِ اَلْمُوَحِّدِينَ بِـذُنُوبِهِمْ ، ثُـمَّ يَخْرُجُـونَ بِشَـفَاعَةِ اَلشَّـافِعِينَ ، وَبِرَحْمَةِ أَرْحَمُ اَلرَّاحِمِينَ .

وَفِي اَلصَّحِيحَيْنِ أَنَّ اَللَّهَ - تَعَـالَى - يَقُـولُ : ﷻ وَعِزَّتِـ ي وَجَلَالِـي لَأُخْرِجَنَّ مِنْ اَلنَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ [1] .

شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اَلْعُلَمَاءِ : اَلْمَرَادُ مِنْ هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ : أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ سَـبَبٌ لِـدُخُولِ اَلْجَنَّـةِ وَالنَّجَـاةِ مِـنْ اَلنَّـارِ وَمُقْتَـضٍ لِـذَلِكَ ، وَلَكِـنَّ اَلْمُقْتَضِيَ لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُ إِلَّا بِاسْتِجْمَاعِ شُرُوطِهِ وَانْتِفَاءِ مَـوَانِعِهِ ، فَقَـدْ

يعلمون } [الزخرف : 87] أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها قال ذلك غير نافع بالإجماع . وفي الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله " من شهد " إذ كيف يشهد وهو لا يعلم ، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به . ثم قال ص 78 فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها ، عاملاً بمقتضاها من نفـي الشـرك وإثبـات والوحدانيـة للـه مـع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقا ، فإن عمل به ظاهرًا من غير اعتقاد فهو المنافق ، وإن عمل بخلافها من الشرك فهـو الكـافر، ولـو قالهـا. ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهرًا وهم في الدرك الأسفل من النار، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم، وكذلك مَن ارتد عن الإسـلام بإنكـار شيء من لوازمها وحقوقها فإنها لا تنفعه، ولو قالها مائة ألف. فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله ، كعُبَّاد القبور والأصـنام فلا تنفعهـم ولا يـدخلون فـي الحـديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث . وقد بيَّنَ النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك بقوله : "وحده لا شريك لـه" تنبيهًـا علـى أن الإنسـان قـد يقولهـا وهـو مشـرك كـاليهود والمنافقين وعباد القبور. انتهى .

1 - نعم هذا حق لا مرية فيه ، ولا يغالط فيه إلا مَدْخُول العقيدة . فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن المسلم إذا كان على التوحيد ، ولم يشرك بربه أحدًا ، واقترف بعض السيئات ، مثل السرقة والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الكبائر ، فهو في مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة ، وإن شاء آخذه بذنبه ، فأدخله النار ، ثم يطهر فيها ، ويكون مصـيره في النهاية إلي الجنة ورحمة الله - عز وجل -. وعلى هذا يُحْمَل قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث السابق "أدخله الله الجنة على ما من عمل" أن العمـل هـذا هـو مـا دون الكفر والشرك من سائر الكبائر. أما الكفر والشرك فلا يُدْخِلُ الله صاحبه الجنة أبدًا ؛ لأن الله حرَّمَها على الكافرين ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة . قال الإمام النووي - رحمـه الله - في شرحه على صحيح مسلم 1/217 : [واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف : أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا علـى كـل حـال . فـإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يُحْدِث معصية بعد توبته ، والمُوَفَّقُ الـذي لـم يُبْتَلَ بمعصيةٍ أصلاً ، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود. والصحيح أن المـراد بـه المـرور علـى الصـراط ، وهـو منصوب على ظهر جهنم ، أعادنا الله منها ومن سائر المكروه . وأما من كانت له معصية كبيرة ، ومات من غير توبة ، فهو في مشيئة الله -تعالى- فإن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة ، وجعله كالقسم الأول . وإن شاء عَذَّبَه القَدْر الذي يريده -سبحانه وتعالى- ثم يُدْخِلُه الجنة. فلا يَخْلُد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمـل - كمـا أنـه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل. هذا مختصرٌ جامعٌ لمذهب أهل الحق في هذه المسألة. وقد تظاهرتْ أدلةُ الكتاب والسنة وإجماع مَـن يُعْتَـدَّ بـه من الأمة على هذه القاعدة ، وتواتراتْ بذلك نصوص تُحَصِّلُ العلمَ القطعيَّ، فإذا تقررتْ هذه القاعدةُ حمل عليها جميـع مـا ورد م ن أحـاديث البـاب وغيـره ، فـإذا ورد ح ديث فـي ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها؛ ليُجْمَع بين نصوص الشرع] انتهى.

يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ لِفَوَاتِ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِهِ ، أَوْ لِوُجُود مَانِعٍ ؛ وَهَذَا قَوْلُ اَلْحَسَنِ وَوَهْبَ بْنُ مُنَبِّهٍ, وَهُوَ اَلْأَظْهَرُ .

وَقَالَ اَلْحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ -وَهُوَ يَدْفِنُ اِمْرَأَتَهُ- : مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا اَلْيَوْمِ ؟ قَالَ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً . قَالَ اَلْحَسَنُ : [نَعَمْ] (1) إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ شُرُوطًا (2) فَإِيَّاكَ وَقَذْفَ اَلْمُحْصَنَةِ [وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ : هَذَا اَلْعَمُودُ . فَأَيْنَ اَلطُّنُبُ ؟] (3) .

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ : إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرْضَهَا دَخَلَ اَلْجَنَّةَ .

وَقَالَ وَهْبَ بْنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ : أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مِفْتَاحُ اَلْجَنَّةِ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ (4) .

وَهَذَا اَلْحَدِيثُ : « إِنَّ مِفْتَاحَ اَلْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ » (5) خَرَّجَهُ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ .

---

1 -

2 - أخرجه البزار في مسنده 1 والبيهقي في شعب الإيمان 1/268 ، 269 رقم (96) والطبراني في المعجم الصغير رقم (349) وقال الهيثمي في المجمع 1/22 رواه البزار والطبرانى في الأوسط والصغير، ورجاله رجال الصحيح .

3 - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد / باب كلام الرب - عز وجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم 8/202 ومسلم في كتاب الإيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (326) .

4 - كذا وقع هنا وفي النسخ المطبوعة [نعم العدة].

5 - لقد أجاد الحافظ أحمد حكمي - رحمه الله - في نظم عدة أبيات جمع فيها شروط كلمة التوحيد التي لا ينتفع بها صاحبها إلا إذا أتى بها وحقَّقَها ، وهى في حقيقتها لم تخرج عن جملة أحاديث وردت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال -رحمه الله- : وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيِّدَتْ وفي نصوص الوحي حقا وردتْ فإنه لم ينتفع قائلُها بالنطق إلا حيث يستكملها العلم واليقين والقبول والانقياد فادْر ما أقول والصدق والإخلاص والمحبة وفقَّك الله لما أحبه وهذا مأخوذ من أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القائل : " من قال : لا إله إلا الله مخلصًا " وفي رواية " مستيقنًا " وفي بعضها " مصدقًا بها قلبه لسانه " وفي بعضها " يقولها حقا من قلبه" وفي بعضها " قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه" كما ذكر المؤلف - رحمه الله - وسيأتي بعد قليل . ويمكننا أن نضيف إلى هذه الشروط السابقة السبعة شرطًا ثامنًا : ألا وهو الكفر بما يُعْبَد من دون الله ، كما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رقم (37) من كتاب الإيمان . فيه "من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعْبَد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله " . قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : [وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعْبَد من دون الله . فإن شَكَّ أو تَرَدَّدَ لم يحرم ماله ودمه ، فيالها من مسألة ما أجلّها، ويَالَهُ من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع] تيسير العزيز الحميد ص 147 .

عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إِذَا سَأَلَكَ أَهْلُ اَلْيَمَنِ عَنْ مِفْتَاحِ اَلْجَنَّةِ ؟ فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ . ﷺ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا اَلْقَوْلِ ، أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ رَتَّبَ دُخُولَ اَلْجَنَّةِ عَلَى اَلْأَعْمَالِ اَلصَّالِحَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ اَلنُّصُوصِ . كَمَا فِي اَلصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اَللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي اَلْجَنَّةَ . فَقَالَ : تَعْبُدُ اَللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ اَلصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي اَلزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ اَلرَّحِمَ ﷺ [1] .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : ﷺ يَا رَسُولَ اَللَّهِ دُلَّنِي عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ اَلْجَنَّةَ . قَالَ : تَعْبُدُ اَللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ اَلصَّلَاةَ اَلْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي اَلزَّكَاةَ اَلْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ فَقَالَ اَلرَّجُلُ : وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا ، وَلَا أَنْقَصُ مِنْهُ . فَقَالَ ﷺ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ﷺ [2] .

وَفِي اَلْمُسْنَدِ عَنْ بَشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَةِ قَالَ : ﷺ أَتَيْتُ اَلنَّبِيَّ ﷺ لِأُبَايِعَهُ فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ أُقِيمَ اَلصَّلَاةَ ، وَأَنْ [أُوتِيَ] [3] اَلزَّكَاةَ ، وَأَنْ أَحُجَّ حَجَّةَ اَلْإِسْلَامِ ، وَأَنْ أَصُومَ رَمَضَانَ ، وَأَنْ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اَللَّهِ أَمَا اِثْنَتَيْنِ [4] فَوَاَللَّهِ لَا أُطِيقُهُمَا : اَلْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ [5] فَقَبَضَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَهَا ، وَقَالَ : لَا جِهَادَ

---

1 - ما بين المعكوفين سقط من كل النُّسَخ المطبوعة ما عدا نسخة (ش) .

2 - في نسخة (ط) أخرجه البخاري تعليقًا 3/109 فتح، وقد وصله في تاريخه 1/95 وأبو نعيم في الحلية 1/66 .

3 - أخرجه أحمد في مسنده 5/242 وهو كما قال المؤلف - رحمه الله - وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/21 : رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة. وهذا منها .

4 - أخرجه البخاري في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة 2/108 ، 109 ، ومسلم في كتاب الإيمان / بياب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة رقم (12).

5 - أخرجه البخاري في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة 2/109 . ومسلم في الذي يدخل به الجنة رقم (15) .

وَلَا صَدَقَةَ ، فَبِمَ تَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ إِذًا? ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اَللَّهِ أَنَا أُبَايِعُكَ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ [1] .

شُرُوطُ دُخُولِ اَلْجَنَّةِ

فَفِي هَذَا اَلْحَدِيثِ أَنَّ اَلْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ شَرْطٌ فِي دُخُولِ اَلْجَنَّةِ مَعَ حُصُولِ اَلتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ [2] .

وَنَظِيرُ هَذَا أَنَّ اَلنَّبِيَّ قَالَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ اَلنَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللَّهِ [3] فَفَهِمَ عُمَرُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ اَلصَّحَابَةِ أَنَّ مَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ اِمْتَنَعَ مِنْ عُقُوبَةِ اَلدُّنْيَا بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ ، فَتَوَقَّفُوا فِي قِتَالِ مَانِعِي اَلزَّكَاةِ [4] وَفَهِمَ اَلصِّدِّيقُ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ قِتَالُهُ إِلَّا بِأَدَاءِ حُقُوقِهَا ، لِقَوْلِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَقَالَ : اَلزَّكَاةُ حَقُّ اَلْمَالِ .

وَهَذَا اَلَّذِي فَهِمَهُ اَلصِّدِّيقُ قَدْ رَوَاهُ عَنْ اَلنَّبِيِّ جَمَاعَةٌ مِنْ اَلصَّحَابَةِ مِنْهُمْ اِبْنُ عُمَرَ وَأَنَسٌ وَغَيْرُهُمَا ، وَأَنَّهُ قَالَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ اَلنَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللَّهِ ، وَيُقِيمُوا اَلصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا اَلزَّكَاةَ . .

---

1 - كذا وقع وفي بعض النسخ [أؤدي] وهو كما في المسند .

2 - كذا وقع في المخطوط وفي كل النسخ المطبوعة . وأما في المسند [أما اثنتان] .

3 - في المسند [الجهاد والصدقة ، فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت . والصدقة فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذَوْدٍ هن رسل أهل وحمولتهم ، قال : فقبض ....] إلخ الحديث.

4 - أخرجه أحمد في مسنده 5/224 . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/47 رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط واللفظ للطبراني ، ورجال أحمد موثقون . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي 2 .

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَإِنْ تَابُوا [1] [illegible] اَلتَّوْبَةُ 11 . [2]

كَمَا دَلَّ قَـوْلُهُ تَعَـالَى : [illegible] [3] عَلَى أَنَّ اَلْأُخُوَّةَ فِي اَلـدِّينِ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِأَدَاءِ اَلْفَرَائِضِ مَعَ اَلتَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ اَلتَّوْبَةَ مِـنْ اَلشِّـرْكِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ .

وَلَمَّا قَرَّرَ أَبُـو بَكْـرٍ هَـذَا لِلصَّـحَابَةِ رَجَعُـوا إِلَـى قَـوْلِهِ ، وَرَأَوْهُ صَوَابًا .

فَـإِذَا عُلِـمَ أَنَّ عُقُوبَـةَ اَلـدُّنْيَا لَا تَرْتَفِـعُ عَمَّـنْ أَدَّى اَلشَّـهَادَتَيْنِ مُطْلَقًـا ، بَـلْ قَـدْ يُعَـاقَبُ بِـإِخْلَالِهِ بِحَـقٍّ مِـنْ حُقُـوقِ اَلْإِسْـلَامِ ، فَكَذَلِكَ عُقُوبَةُ اَلْآخِرَةِ .

وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ هَـذِهِ اَلْأَحَـادِيثَ اَلْمَـذْكُورَةَ أَوَّلاً وَمَـا فِي مَعْنَاهَا ، كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ اَلْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ ، مِنْهُمْ اَلزُّهْرِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُمَـا ، وَهَـذَا بَعِيـدٌ جِـدًّا [4] فَـإِنَّ كَثِيـرًا مِنْهَـا كَـانَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ نُزُولِ اَلْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ ، وَفِي بَعْضِهِا أَنَّهُ كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَهِيَ فِي آخِرِ حَيَاةِ اَلنَّبِيِّ [illegible] .

وَهَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ فِي هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ : إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ [5] وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : هِيَ مُحْكَمَـةٌ ، وَلَكِـنْ ضُـمَّ إِلَيْهَـا شَـرَائِطُ ، .

---

1 - هذا هو الحق لا مرية فيه ، والذي لا يجادل فيه إلا مُجادل مُغالط فما بال أقوام يُقْصِرُونَ دخولَ الجنة والنجاة من النار على قول كلمة التوحيد لا غير ، ولو لـم يـأت بشـروطها ويحقق مقتضياتها ، بل ويأتي بنواقضها صراحًا بواحًا عندما فيه من الله برهان . فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

2 - سورة التوبة آية : 5.

3 - سورة التوبة آية : 11.

4 - أخرجه البخاري x في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة 2/110 بلفظ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالهـا فقـد عصـم منـى مـاله ونفسـه إلا بحقـه وحسابه على الله " . ومسلم في كتاب الإيمان / باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رقم (33) ، (35) ،(36) .

5 -

وَيَلْتَفِتُ هَذَا إِلَى أَنَّ اَلزِّيَادَةَ عَلَى اَلنَّصِّ : هَلْ هِيَ نَسْخٌ أَمْ لَا ؟ وَالْخِلَافُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ اَلْأُصُولِيِّينَ مَشْهُورٌ .

وَقَدْ صَرَّحَ اَلثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ ، وَأَنَّ نَاسِخَهَا اَلْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ ، وَقَدْ يَكُونُ مُرَادُهُمْ بِالنُّسَخِ اَلْبَيَانَ وَالْإِيضَاحَ ، فَإِنَّ اَلسَّلَفَ كَانُوا يُطْلِقُونَ اَلنَّسَخَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَيَكُونُ مَقْصُودُهُمْ أَنَّ آيَاتِ اَلْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ تَبَيَّنَ بِهَا تَوَقُّفُ دُخُولِ اَلْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنْ اَلنَّارِ عَلَى فِعْلِ اَلْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ اَلْمَحَارِمِ ، فَصَارَتْ تِلْكَ اَلنُّصُوصُ مَنْسُوخَةً ، أَيْ : مُبَيَّنَةً مُفَسَّرَةً ، وَنُصُوصُ اَلْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ نَاسِخَةً أَيْ : مُفَسِّرَةً لِمَعْنَى تِلْكَ ، مُوَضِّحَةً لَهَا .

فَهْمُ اَلنُّصُوصِ اَلْمُطْلَقَةِ فِي ضَوْءِ اَلنُّصُوصِ اَلْمُقَيَّدَةِ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تِلْكَ اَلنُّصُوصُ اَلْمُطْلَقَةُ قَدْ جَاءَتْ مُقَيَّدَةً فِي أَحَادِيثَ أُخَرَ ، فَفِي بَعْضِهَا : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مُخْلِصًا » [1]

1 - اختار الإمام النووي - رحمه الله - عدم تكفير مانعي الزكاة ، واعتبرهم أهل بَغْيٍ ، كما في شرحه على صحيح مسلم 1/204 وفرَّق بينهم في الحكم وبين مانعي الزكاة في العصور المتأخرة. فقال - رحمه الله - 1/205 . [فإن قيل: كيف تأولت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذهبت إليه وجعلتهم أهل بغي ؟ وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا من أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي ؟ قلنا : لا ، فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافرًا بإجماع المسلمين . والفرق بين هؤلاء وأولئك ، أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان. منها قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ. ومنها أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين ، وكان عهدهم بالإسلام قريبًا ، فدخلتهم الشبهة فعُذِروا. فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام ، واشترك فيه العالم والجاهل ، فلا يعذر أحد بتأويلٍ يتأوله في إنكارها. وكذلك الأمر في كل مَن أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا عَلِمَهُ منتشرًا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الربا والخمر، ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام ، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ، ولا يعرف حدوده، فإنه إذا أنكر شيئًا منها جهلاً به لم يكفر، وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه، فأما ما كان عليه الإجماع فيه معلومًا من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وأن القاتل عمدًا لا يرث ، وأن للجدة السدس، وما أشبه ذلك من الأحكام، فإن من أنكرها لا يكفر ، بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة] انتهى.

وَفِي بَعْضِهَا مُسْتَيْقِنًا [1] وَفِـي بَعْضِـهَا : ﷺ يُصَدِّقُ قَلْبُـهُ لِسَـانَهُ ﷺ [2] وَفِي بَعْضِهَا : ﷺ يَقُولُهَا حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ ﷺ [3] وَفِي بَعْضِهَا : ﷺ قَدْ ذَلَّ بِهَا لِسَانُهِ ، وَاطْمَأَنَّ بِهَا قَلْبُـهُ ﷺ [4] وَهَذَا كُلُّـهُ إِشَـارَةٌ إِلَـى عَمَلِ اَلْقَلْبِ ، وَتَحَقُّقِـهِ بِمَعْنَـى اَلشَّـهَادَتَيْنِ ، فَتَحَقُّقُـهُ بِقَـوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ أَلَّا يَأْلَهَ اَلْقَلْبُ غَيْرَ اَللَّهِ حُبًّا وَرَجَاءً ، وَخَوْفًا ، وَتَوَكُّلاً وَاسْتِعَانَةً ، وَخُضُوعًا وَإِنَابَةً ، وَطَلَبًا . وَتَحَقُّقِهِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اَللَّهِ أَلَّا يُعْبَدَ اَللَّهُ بِغَيْرِ مَا شَرَعَهُ اَللَّهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَقَدْ جَاءَ هَذَا اَلْمَعْنَى مَرْفُوعًا إِلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ صَرِيحًا أَنَّهُ قَالَ : ﷺ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ اَلْجَنَّةَ . قِيلَ : مَا إِخْلَاصُـهَا يَا رَسُولَ اَللَّهِ ?! قَالَ : أَنْ تَحْجِزَكَ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اَللَّهُ عَلَيْـكَ ﷺ [5] .

وَهَذَا يُرْوَى مِنْ حَـدِيثِ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ ، وَزَيْـدِ بْـنِ أَرْقَـمَ ، وَلَكِنَّ إِسْنَادَهُمَا لَا يَصِحُّ وَجَاءَ أَيْضًا مِنْ مَرَاسِيلِ اَلْحَسَـنِ وَنَحْـوِهِ .

---

1 - { فإن تابوا } قال جمع غفير من المفسرين عند هذه الآية : أي تابوا من الشرك، وقيل : توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم . وقيل : فإن رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له . وقيل : الرجوع عن الكفر إلى التوحيد.

2 - قال الإمام النووي - رحمه الله - نقلاً عن القاضي عياض - رحمه الله - 1/219 [فحُكِيَ عن جماعة من السلف - رحمهم الله - منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهى . وقال بعضهم : هي مجملة تحتاج إلى شرح . ومعناه : من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها . وهذا قول الحسن البصري . وقيل : إن ذلك لمن قالها عند الندم ومات على ذلك ، وهذا قول البخاري . وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها . وأما إذا أنزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بيَّنه المحققون. ثم قال 1/220 وأما ما حكاه عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل؛ وذلك لأن راوي أحد هذه الأحاديث أبو هريرة - رضى الله عنه - وهو متأخر الإسلام أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق . وكانت أحكام الشريعة مستقرة ، وأكثر هذه الواجبات كانت فروضها مستقرة] انتهى .

3 - قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره فتح القدير 1/197 [وقال ابن جرير مَا نَنْسَخْ ما ننقل من حكم آية إلى غيره ، فنبدله ونغيّره . وذلك أن نحول الحلال حراما والحرام حلالا ، والمباح محظورا ، والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهى والحظر والإطلاق والمنع والإباحة . فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ] انتهى قلت : وعلى هذا فدعوى النسخ هنا غير مقبولة وغير صحيحة ؛ لأن الأحاديث هنا متعلقة بالأخبار وليست متعلقة بالأمر والنهى ولا الحرام والحلال.

4 - أخرجه أحمد في مسنده 5/236 عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أنا من شهد معاذًا حين حضرته الوفاة : يقول : اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال مرة : أخبركم بشيء سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يمنعني أن أحدثكموه الآن إلا أن تتكلوا . سمعته يقول : " من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه أو يقينا من قلبه ، لم يدخل النار . أو دخل الجنة " وقال مرة : " دخل الجنة ولم تمسه النار " . قال الهيثمي في المجمع 1/22 رواه البزار ورجاله ثقات ، إلا أن من روى عنهما البزار لم أقف لهما على ترجمة . وكذلك أخرجه الحميدى في مسنده 1/181 رقم (369) والطبرانى في الكبير رقم (63) وابن حبان كما في موارد الظمآن رقم (4) .

5 - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (52) (31) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " يا أبا هريرة! " وأعطاني نعليه . قال : " اذهب بنعليَّ هاتين . فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا به قلبه فبَشِّرْهُ بالجنة " وكذلك البيهقي في الشعب رقم (5) .

وَتَحْقِيقُ هَذَا اَلْمَعْنَى وَإِيضَاحُهُ أَنَّ قَوْلَ اَلْعَبْدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ يَقْتَضِي أَنْ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْرُ اَللَّهِ ، وَالْإِلَهُ اَلَّذِي يُطَاعُ فَلَا يُعْصَى هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالاً ، وَمَحَبَّةً ، وَخَوْفًا ، وَرَجَاءً ، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ ، وَسُؤَالاً مِنْهُ ، وَدُعَاءً لَهُ ، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ اَلْأُمُورِ اَلَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ اَلْإِلَهِيَّةِ كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي إِخْلَاصِهِ فِي قَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَنَقْصًا فِي تَوْحِيدِهِ ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ عُبُودِيَّةِ اَلْمَخْلُوقِ بِحَسْبِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ .

اَلشِّرْكُ وَالْكُفْرُ لَهُ أَصْلٌ وَفُرُوعٌ

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فُرُوعِ اَلشِّرْكِ [1] ؛ وَلِهَذَا وَرَدَ إِطْلَاقُ اَلْكُفْرِ وَالشِّرْكِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ اَلْمَعَاصِي اَلَّتِي مَنْشَؤُهَا مِنْ طَاعَةِ غَيْرِ اَللَّهِ أَوْ خَوْفِهِ أَوْ رَجَائِهِ ، أَوْ اَلتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهِ ، كَمَا وَرَدَ فِي إِطْلَاقِ اَلشِّرْكِ عَلَى اَلرِّيَاءِ [2] وَعَلَى اَلْحَلِفِ بِغَيْرِ اَللَّهِ [3] وَعَلَى اَلتَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ اَللَّهِ

1 - أخرجه أحمد في مسنده 307 /2 عن أبي هريرة أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ماذا ردَّ إليك ربك في الشفاعة ؟ فقال : والذي نفس محمد بيده ! لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي ؛ لما رأيت من حرصك على العلم ، والذي نفس محمد بيده ! ما يهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي . وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا يُصَدِّقُ قلبُه لسانَه ولسانُه قلبَه " . قال الهيثمي في المجمع 10/407 رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب وهو ثقة .

2 - أخرجه أحمد في المسند 1/63 عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال : "سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار " فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : أنا أحدثك ما هي ؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمدًا -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وهى كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله -صلى الله عليه وسلم- عمه أبا طالب عند الموت : شهادة أن لا إله إلا الله". قال الهيثمي في المجمع 1/20 قلت : لعم ر ح ديث رواه ابن ماجه ، بغير هذا السياق ، ورجاله ثقات ، رواه أحمد . وهو عند ابن حبان كما في موارد الظمآن رقم (1) . وقال الحاكم في المستدرك 1/72 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ولا بهذا الإسناد .

3 - عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فذل بها لسانه ، واطمأن بها قلبه ، لم تطعمه النار" . أخرجه البيهقي في الشعب رقم (9) . قال الهيثمي في المجمع 1/26 عن سعد بن عبادة قال : سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أطاع بها قلبه ، وذل بها لسانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله حرَّمه الله - عز وجل - على النار " . رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه .

وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى مَنْ سَوَّى بَيْنَ اَللَّهِ وَبَيْنَ اَلْمَخْلُوقِ فِي اَلْمَشِيئَةِ ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ : مَا شَاءَ اَللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ [1]

وَكَذَا قَوْلُهُ : مَا لِي إِلَّا اَللَّهُ وَأَنْتَ ؛ وَكَذَلِكَ مَا يَقْدَحُ فِي اَلتَّوَكُّلِ [2]

وَتَفَرُّدِ اَللَّهِ بِالنَّفْعِ وَالضُّرِّ : كَالطِّيَرَةِ [3]

وَالرُّقَى اَلْمَكْرُوهَةِ [4] وَإِتْيَانِ اَلْكُهَّانِ وَتَصْدِيقِهِمْ بِمَا يَقُولُونَ ، [5]

وَكَذَلِكَ اِتِّبَاعُ هَوَى اَلنَّفْسِ فِيمَا نَهَى اَللَّهُ عَنْهُ ، قَادِحٌ فِي تَمَامِ اَلتَّوْحِيدِ وَكَمَالِهِ .

وَلِهَذَا أَطْلَقَ اَلشَّرْعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ اَلذُّنُوبِ اَلَّتِي مَنْشَؤُهَا مِنْ اِتِّبَاعِ هَوَى اَلنَّفْسِ بِمَا هُوَ كُفْرٌ وَشِرْكٌ ؛ كَقِتَالِ اَلْمُسْلِمِ ، [6] وَمَنْ أَتَى

---

1 - أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه 12/64 عن أنس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة " قالوا يا رسول الله ! فما إخلاصها ؟ قال : " تحجزكم عن كل ما حرم عليكم " . قال الهيثمي في المجمع 1/23 عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة " قيل : وما إخلاصها ؟ قال : "أن تحجزه عن محارم الله " . رواه الطبراني في الأوسط والكبير إلا أنه قال في الكبير : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " إخلاصه أن تحجزه عما حرم الله عليه " وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وَضَّاعٌ .

2 - قال العلامة ابن القيم الجوزية - رحمه الله - في كتاب الصلاة ص 24 : [وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر . والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر . والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر . والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان . وشعب الإيمان قسمان : قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالُها زوالَ الإيمان ، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالُها زوالَ الإيمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية . فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارًا وهي شعبة من شعب الكفر . فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف ، فهذا أصل] . انتهى .

3 - عن محمود بن لبيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ : " الرياء " يقول الله - عز وجل - لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " . أخرجه أحمد في مسنده 5/428 وقال الهيثمي في المجمع 10/225 رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة .

4 - جاء رجل إلي عبد الله بن عمر فقال : أحلف بالكعبة ؟ فقال : "احلف برب الكعبة، فإن عمر كان يحلف بأبيه ، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : لا تحلف بأبيك ، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك " . أخرجه أحمد في المسند 2/125 وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور / باب في كراهية الحلف بالآباء رقم (3215) والترمذي في كتاب النذور والأيمان / باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله رقم (1535) وعند الحاكم " فقد كفر" 1/18 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد ، وخرَّجَاه في الكتاب ، وليس له علة ، ولم يُخَرِّجَاه .

5 - عن حذيفة عن النبي -(- قال : " لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان " . أخرجه أبو داود في كتاب الأدب / باب لا يقال : خبثت نفسي رقم (4980) وأحمد في مسنده 5 84 ، 394 ، 398 . وعند الرامي " لا تقولوا : ما شاء وشاء محمد . ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم ما شاء محمد " في كتاب الاستئذان / باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان رقم (2702) .

6 -

حَائِضًا ، أَوْ اِمْرَأَةً فِي دُبُرِهَا [1] وَمَنْ شَرِبَ اَلْخَمْرَ فِي اَلْمَـرَّةِ اَلرَّابِعَـةِ [2] وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ اَلْمِلَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ

وَلِهَذَا قَالَ اَلسَّلَفُ : كَفْرٌ دُونَ كُفْرٍ ، وَشِرْكٌ دُونَ شِرْكٍ [3]

وَقَـدْ وَرَدَ إِطْلَاقُ اَلْإِلَـهِ عَلَـى اَلْهَـوَى اَلْمُتَّبَـعِ ، قَـالَ - تَعَـالَى - : ﴿ [illegible] ﴾ [4] اَلْجَاثِيَةُ : 23 وَقَالَ اَلْحَسَنُ : هُوَ اَلَّذِي لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهِ [5] . وَقَالَ قَتَـادَةُ : هُـوَ اَلَّـذِي كُلَّمَـا هَوَى شَيْئًا رَكِبَهِ ، وَكُلَّمَا اِشْتَهَى شَيْئًا أَتَاهُ . لَا يَحْجِزُهُ عَـنْ ذَلِـكَ وَرَعٌ وَلَا تَقْوَى [6] .

وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِـي أُمَامَـةَ مَرْفُوعًـا بِإِسْـنَادٍ ضَـعِيفٍ : ﴿ مَـا تَحْتَ ظِلِّ اَلسَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اَللَّهِ مِنْ هَوَى مُتَّبَعٍ ﴾ [7] .

---

1 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -(- قال : " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر " أخرجه البخاري في كتاب الطب باب لا هامة 7/27 . ومسلم في كتاب السلام / باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يُورَد ممرض على مُصح رقم (2220).

2 - عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله - -(- يقول : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " قالت زينب زوجة عبد الله : لم تقول هذا ؟ والله لقد كانت عيني تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني . فإذا رقاني سكنت . فقال عبد الله : إنما ذاك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده . فإذا رقاها كفَّ عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما كـان رسول الله -(- يقول : " أذهب البأس رب الناس ، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقما" . أخرجه أبو داود في كتاب الطب / باب في تعليـق التمـائم رقـم (3883) وابن ماجه في كتاب الطب / باب تعليق التمائم رقم (3530) .

3 - عن أبي هريرة والحسن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول فقد كَفَرَ بما أنزل على محمد -(- " . أخرجه أحمـد فـي مسـنده 2/429 وكذلك الحاكم في المستدرك 1/8 وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وصححه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على سنن الترمذي 1/244 وصححه الشيخ الألباني - حفظه الله - في صحيح الجامع رقم (5939) .

4 - سورة الجاثية آية : 23.

5 -

6 - عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب مـا ينهـى عـن السـباب واللعـن 7/84 ومسلم في كتاب الإيمان / باب بيان قول النبي - (- سباب المسلم فسوق وقتاله كفر رقم (116) .

7 - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي -(- قال : " من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا : فقد كفر بما أنزل على محمد" . أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة / باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض . رقم (135) . وأحمد في مسنده 2/408 بلفظ : "فقد برئ مما أنزل الله على محمد عليه الصلاة والسـلام" وفـي 2/476 وأبـو داود فـي كتـاب الطب / باب في الكُهَّان، رقم (3904) والدرامي في كتاب الوضوء والصلاة / باب من أتى امرأة في دبرها رقم (1141) وابن الجارود في المنتقى رقم (107) . وصـححه الشـيخ أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على سنن الترمذى 1/243 ، 244 وصححه الشيخ الألباني - حفظه الله - في صحيح الجامع رقم (5942) .

وَفَي حَدِيثٍ آخَرَ : ﴿ لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ تَدْفَعُ عَنْ أَصْحَابِهَا حَتَّى يُؤْثِرُوا دُنْيَاهُمْ عَلَى دِينِهِمْ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ رُدَّتْ عَلَيْهِمْ ، وَقِيلَ : كَذَبْتُمْ ﴾ [8]

وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ اَلْحَدِيثُ اَلصَّحِيحُ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﴿ تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ اَلْقَطِيفَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ اَلْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ,وَإِذَا شِيكَ فَلَا اِنْتَقَشَ ﴾ [2]

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَأَطَاعَهُ, وَكَانَ غَايَةَ قَصْدِهِ وَمَطْلُوبِهِ ، وَوَالَى لِأَجْلِهِ ، وَعَادَى لِأَجْلِهِ ، فَهُوَ عَبْدُهُ ، وَذَلِكَ اَلشَّيْءُ مَعْبُودُهُ وَإِلَهُهُ

طَاعَةُ اَلشَّيْطَانِ تَقْدَحُ فِي تَوْحِيدِ اَلرَّحْمَنِ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنَّ اَللَّهَ - تَعَالَى - سَمَّى طَاعَةَ اَلشَّيْطَانِ فِي مَعْصِيَةٍ عِبَادَةً لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ (خط أ)أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا اَلشَّيْطَانَ ﴾ [3] يس وَقَالَ -حَاكِيًا

8 - عن معاوية : قال : قال رسول الله -(- : "من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه ". أخرجه الترمذي في كتاب الحدود / باب ما جاء في شرب الخمر رقم (1444) وأبو داود في كتاب الحدود / باب إذا تتابع في شرب الخمر رقم (4484) و(4485) وابن ماجه في كتاب الحدود / باب من شرب الخمر مرارًا رقم (2572) و(2573) وصححه الترمذي وكذلك الألباني في صحيح الجامع رقم (6309) . واختار الإمام الترمذي نسخ القتل ، وقال : ثم أتي النبي -(- بعد ذلك برجل قد شرب الخمر في الرابعة ولم يقتله ، وكذلك روى الزهري عن قبيصة بن ذويب عن النبي -(- نحو هذا . قال : فرفع القتل وكانت رخصة . والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم خلافًا في ذلك في القديم والحديث .

2 - قلت : هذا حق لا مرية فيه . وفيه رَدٌّ على الخوارج الذين يكفرون المسلمين بذنوبهم استنادًا إلى مثل تلك الأحاديث ، التي أطلق فيها على بعض المعاصي أنها كفر وشرك، وأوتوا من قِبَل ضآلة فهمهم وعدم فقههم واعتبروا هذه الذنوب والمعاصي والكبائر كفرًا مخرجًا من الملة ، ولم يلتفتوا إلى تقسيم العلماء الكفر والشرك والنفاق والفسق إلى أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة ، فوقعوا في تلك الهوة ، التي هي مزلة أقدام ، وتجرءوا على الله فقالوا غير الحق وتجرءوا على عباد الله فكفروهم واستباحوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم ، فكان من شأنهم ما حكاه التاريخ عنهم من تشويه صورة الإسلام وتبديل معالمه . وكما يقال : لكل فعل رد فعل مضاد له ، فنشأ مقابل ذلك فكر الإرجاء الذي تسلل إلى الأمة عبر عصور طويلة في غياب الحكم الإسلامي الراشد ، حتى تسيَّدَ في الساحة ، ورفع رأسَه ، وأصبحت له الكلمة والتوجيه ، وصارت له المؤلفات والدعاة والدعوات ، حتى حسبه أكثر الخلائق أنه الدين الصحيح ، وأنه الحق الصراح. وأصبح أصحابه هم العلماء والمربين والفقهاء والموجهين حتى غدا الحق غريبًا كما كان غريبًا. وأصبح عندهم الحكم بغير ما أنزل الله وتبديل شرائع الدين وتحكيم القوانين الوضعية الجاهلية كفر دون كفر وشرك دون شرك وفسق دون فسق ، وكذلك أصبحت موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى والشيوعيين والملحدين ، وكذلك أصبح النذر والطواف والذبح للقبور، ودعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد من الأموات كفر دون كفر وشرك دون شرك ، وفي أحسن الأحوال كفر أكبر ، ولكن أصحابه لا يكفرون؛ لأنهم جهال . فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله".

3 - سورة يس آية : 60.

عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ- : [illegible] مَرْيَمُ : 44 [1] فَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ عُبُودِيَّةَ اَلرَّحْمَنِ وَطَاعَتَهُ فَإِنَّهُ يَعْبُدُ اَلشَّيْطَانَ بِطَاعَتِهِ لَهُ ، وَلَمْ يَخْلُصْ مِنْ عِبَادَةِ اَلشَّيْطَانِ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ عُبُودِيَّةَ اَلرَّحْمَنِ, وَهُمْ اَلَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ : [illegible] اَلْحِجْرُ:42 [2] فَهُمْ اَلَّذِينَ حَقَّقُوا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَأَخْلَصُوا فِي قَوْلِهَا ، وَصَدَّقُوا قَوْلَهُمْ بِفِعْلِهِمْ ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى غَيْرِ اَللَّهِ ,مَحَبَّةً وَرَجَاءً وَخَشْيَةً وَطَاعَةً وَتَوَكُّلاً ، وَهُمْ اَلَّذِينَ صَدَقُوا فِي قَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، وَهُمْ عِبَادُ اَللَّهِ حَقًّا .

فَأَمَّا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ أَطَاعَ اَلشَّيْطَانَ وَهَوَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اَللَّهِ وَمُخَالَفَتِهِ فَقَدْ كَذَّبَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ [3] وَنَقَصَ مِنْ كَمَالِ تَوْحِيدِهِ بِقَدْرِ مَعْصِيَةِ اَللَّهِ فِي طَاعَةِ اَلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى [4] [illegible] [5] اَلْقَصَصُ : 50 ، [illegible] [6]

فَيَا هَذَا كُنْ عَبْدَ اَللَّهِ لَا عَبْدَ اَلْهَوَى ، فَإِنَّ اَلْهَوَى يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي اَلنَّارِ : [illegible] يُوسُفُ : 39 . تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ وَاَللَّهُ [7] مَا يَنْجُو غَدًا مِنْ عَذَابِ اَللَّهِ إِلَّا مَنْ حَقَّقَ عُبُودِيَّةَ اَللَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ مَعَهُ إِلَيَّ شَيْءٍ مِنَ اَلْأَغْيَارِ .

---

1 - سورة مريم آية : 44.

2 - سورة الحجر آية : 42.

3 - عَزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور 6/260 إلي ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن .

4 - عزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور 6/260 إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة .

5 - سورة القصص آية : 50.

6 - سورة ص آية : 26.

7 - سورة يوسف آية : 39.

مِنْ عَلِـمَ أَنَّ إِلَهَـهُ وَمَعْبُـودَهُ فَـرْدٌ ، فَلْيُفْـرِدْهُ بِالْعُبُودِيَّـةِ [illegible]
[illegible] [1] اَلْكَهْفُ : 110 .

كَانَ بَعْضُ اَلْعَارِفِينَ يَتَكَلَّمُ عَلَى أَصْـحَابِهِ ، عَلَـى رَأْسِ جَبَـلٍ ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ : لَا يَنَالُ أَحَدٌ مُرَادَهُ حَتَّـى يَنْفَـرِدَ فَـرْدًا بِفَـرْدٍ ، فَانْزَعَجَ وَاضْطَرَبَ, حَتَّى رَأَى أَصْحَابُهُ أَنَّ اَلصُّخُورَ قَدْ تَدَكْـدَكَتْ ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سَاعَاتٍ ، فَلَمَّا أَفَاقَ فَكَأَنَّهُ نُشِرَ مِنْ قَبْرٍ .

قَوْلُهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ تَقْتَضِي أَلَّا يُحِبَّ سِوَاهُ ، فَـإِنَّ اَلْإِلَـهَ هُـوَ اَلَّذِي يُطَاعُ ، مَحَبَّةً وَخَوْفًا وَرَجَاءً . وَمِنْ تَمَـامِ مَحَبَّتِـهِ مَحَبَّـةُ مَـا يُحِبُّهُ ، وَكَرَاهَةُ مَا يَكْرَهُهُ ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُ اَللَّـهُ ، أَوْ كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّهُ اَللَّهُ لَمْ يَكْمُلْ تَوْحِيدُهُ وَلَا صِدْقُهُ فِـي قَـوْلِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلْخَفِيِّ بِحَسْبِ مَا كَرِهَهُ مِمَّا يُحِبُّهُ اَللَّهُ ، وَمَا أَحَبَّـهُ مِمَّـا يَكْرَهُـهُ . قَـالَ تَعَـالَى : [illegible]
[illegible] [2]
مُحَمَّدٌ : 28 .

دَلَالَةُ مَحَبَّةِ اَللَّهِ [illegible]

قَالَ اَللَّيْثُ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : [illegible] [3]
اَلنُّورُ : 55 [4] قَالَ : لَا تُحِبُّوا [5] غَيْرِي .

---

1 - سورة الكهف آية : 110.

2 - سورة محمد آية : 28.

3 - سورة النور آية : 55.

4 - عزاه السيوطي في الدر المنثور 6/260 إلى الطبراني . وقال الهيثمي في المجمع 1/193 رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الحسن بن دينار ، وهو متروك الحديث .

5 - أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ قريب منه رقم (4034) والحافظ ابن حجر في المطالب العالية رقم (3274) والهندي في كنز العمال رقم (221) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/280 : رواه البزار وفيه عبد الله بن محمد بن عجلان وهو ضعيف جدًا . وذكر الهيثمي . رواية لهذا الحديث من طريق آخر بلفظ قريب منه وقـال : رواه الـبزار وإسـناده حسن.

وَفِي صَحِيحِ اَلْحَاكِمِ [1] عَنْ عَائِشَةَ عَنْ اَلنَّبِيِّ قَالَ : اَلشِّرْكُ أَخْفَى [2] مِنْ دَبِيبِ اَلذَّرِّ عَلَى اَلصَّفَا فِي اَللَّيْلَةِ اَلظَّلْمَاءِ ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ اَلْجَوْرِ ، أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ اَلْعَدْلِ ، وَهَلْ اَلدِّينُ إِلَّا اَلْحُبُّ وَالْبُغْضُ ؟ قَالَ اَللَّهُ - تَعَالَى - : "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللَّهَ فَاتَّبَعُونِي يُحْبِبْكُمْ اَللَّهُ" [3] آلُ عِمْرَانَ : 31 وَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ مَحَبَّةَ مَا يَكْرَهُهُ اَللَّهُ وَبُغْضَ مَا يُحِبُّهُ مُتَابَعَةٌ لِلْهَوَى ، وَالْمُوَلَاةُ عَلَى ذَلِكَ وَالْمُعَادَاةُ عَلَيْهِ مِنْ اَلشِّرْكِ اَلْخَفِيِّ

قَالَ اَلْحَسَنُ : اِعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُحِبَّ اَللَّهَ حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ

وَسُئِلَ ذُو اَلنُّونِ : مَتَى أُحِبُّ رَبِّي ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ مَا يُبْغِضُهُ عِنْدَكَ أَمَرَّ مِنْ اَلصَّبْرِ وَقَالَ بِشْرُ بْنُ اَلسَّرِيِّ : لَيْسَ مِنْ أَعْلَامِ اَلْحُبِّ أَنْ تُحِبَّ مَا يُبْغِضُهُ حَبِيبُكَ

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبُ اَلنَّهْرَجُورِي : كُلُّ مَنْ اِدَّعَى مَحَبَّةَ اَللَّهِ وَلَمْ يُوَافِقْ اَللَّهَ فِي أَمْرِهِ فَدَعْوَاهُ بَاطِلَةٌ .

---

1 - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير / باب الحراسة في الغزو في سبيل الله 3/ 223 وابن ماجه في كتاب الزهد / باب المكثرين رقم (4136).

2 - ألا ترى من يطوف بالقبور ، ويقدم لها القرابين والنذور ، ويذبح لها الذبائح ، ويستغيث بالمقبور ، ويَحِلّ بساحته ، ويسكب على عتبته دموع الذل والانكسار ، آملاً أن يفرج كُرُبَاته ، ويقضي دينه ، ويشفي مريضه ، وهو يقول لا إله إلا الله ، فما قيمة هذه الكلمة وهو يهدم أركانها ، ويُدَكْدِكُ أصولها ، وصارت في حلقه حروفًا جوفاء وكلمات لا رصيد لها ، ولا أثر لها في واقع حياته . ألا تراه قد كذَّب بأفعاله ما ينطق بلسانه ؟! ألا ترى مَن يُنَحِّي حُكْمَ الله وشريعة الله عن الحكم والتحاكم بين الناس ، ويأتي لهم بزبالة الأفكار ، وسقط المتاع من قوانين وضعية جاهلية كفرية ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ويجعلها مصدرًا للحكم والتحاكم بين الناس ، ويعتبر من يخرج عليها خارجًا عن الشريعة ، يعاقب على ذلك ، ويتهم ويهدر دمه وماله وعرضه ، حتى صارت شرعًا ودينًا غير شرع الله ودين الله ، وبحل ما حرَّم الله ، وبحرم ما أحل الله ، وبيبح المحظور ، وبحظر المباح . وهو مع ذلك يقول : لا إله إلا الله ؛ ليُحَدِّرَ بها المشاعر ، ويُلَبِّس بها على العوام . ألا تراه قد كذب بفعله القبيح هذا ما نطق به بلسانه ؟! . ألا ترى من يوالي اليهود والنصارى أعداء الله ، ويقربهم ، ويودهم ، ويعادي أولياء الله ، ويبعدهم ويبغضهم . وهو يقول : لا إله إلا الله ، ليل نهار ، كلمة لا وزن لها في حياته ، ولا معنى لها ، ولا مفهوم لها . ألا تراه وهو يقول هذه الكلمة ، ويفعل ما يفعله ، قد كذَّب بفعله ذاك ما نطقت به شفتاه ؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

3 - ظن كثير من الناس أن ما يفعله القبوريون من شِرْكِيَّات وثَنِيَّات تنقص الإيمان وتقدح في كمال التوحيد ، وكذلك ما يفعله المشرعون والحكام الذين يحكمون بشرائع كفرية وقوانين وضعية ، ومن يوالون اليهود والنصارى وأصناف الكفرة المشركين . ظن كثير من الناس أن هذه الأعمال تنقص الإيمان لا غير ، بل الحقيقة أن هذه الأعمال تنقض الإيمان من الأساس ، وتهدم بنيان الدين كله ، ولا يبقى للإسلام أصل ولا فرع . قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص 66 ، 67 . [وأخبرنا أبو عمرو الحيري حدثنا محمد بن يحيى ، ومحمد بن إدريس : سمعت الحميدي يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : الإيمان قول وعمل . يزيد وينقص . فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : يا أبا محمد تقول : ينقص ! فقال اسكت يا صبي ، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء] انتهى.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ اِدَّعَى مَحَبَّةَ اَللَّهِ, وَلَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ .

وَقَالَ رُوَيْمٍ اَلْمَحَبَّةُ وَالْمُوَافَقَةُ فِي جَمِيعِ اَلْأَحْوَالِ ، وَأَنْشَدَ .

وَلَوْ قُلْتَ لِي : مُتْ . مِتُّ سَمْعًا وَطَاعَةً
وَقُلْتُ لِدَاعِي اَلْمَوْتِ : أَهْلاً ومرحبًا

وَيَشْهَدُ لِهَذَا اَلْمَعْنَى أَيْضًا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : [illegible] [1] آلُ عِمْرَانَ : 31 .

قَالَ اَلْحَسَنُ : قَالَ أَصْحَابُ اَلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اَللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا حُبًا شَدِيدًا ؛ فَأَحَبَّ اَللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِحُبِهِ عَلَمًا ، فَأَنْزَلَ اَللَّهُ - تَعَالَى - هَذِهِ اَلْآيَةَ [2]

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ إِلَّا بِشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللَّهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ مَحَبَّةُ اَللَّهِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ . فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُحَمَّدٍ اَلْمُبَلِّغِ عَنْ اَللَّهِ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ [3] فَصَارَتْ مَحَبَّةُ اَللَّهِ مُسْتَلْزِمَةً لِمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ .

وَلِهَذَا قَرَنَ اَللَّهُ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ فِي قَوْلِهِ : [illegible] [4] إِلَى قَوْلِهِ : [illegible]

1 - سورة آل عمران آية : 31.

2 - في مخطوطتنا : [لا تشركوا بي شيئًا] . وهو تصحيف .

3 - في كل النسخ المطبوعة : [لا يحبون] .

4 - سورة التوبة آية : 24.

[illegible] [5] اَلتَّوْبَةُ : 24 كَمَا قَرَنَ بَيْنَ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ [illegible] فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ .

وَقَالَ [illegible] ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ اَلْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ اَلْمَرْءُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى اَلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اَللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي اَلنَّارِ [1] .

تَلَازُمُ اَلظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ

هَذِهِ حَالُ اَلسَّحَرَةِ لَمَّا سَكَنَتْ اَلْمَحَبَّةُ قُلُوبَهُمْ ، سَمَحُوا بِبَذْلِ نُفُوسِهِمْ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : [illegible] [2] وَمَتَى تَمَكَّنَتْ اَلْمَحَبَّةُ فِي اَلْقَلْبِ لَمْ تَنْبَعِثْ اَلْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى طَاعَةِ اَلرَّبِّ [3] وَهَذَا هُوَ مَعْنَى اَلْحَدِيثِ اَلْإِلَهِيِّ اَلَّذِي خَرَّجَهُ اَلْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ, وَفِيهِ [illegible] وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ, فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ اَلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ, وَبَصَرَهُ اَلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ اَلَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ اَلَّتِي يَمْشِي بِهَا [illegible] ، [4] وَفِي بَعْضِ اَلرِّوَايَاتِ : [illegible] فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ, وَبِي يَبْطِشُ, وَبِي يَمْشِي [illegible]

---

5 - سورة التوبة آية : 24.

1 - الصواب أن يقال : مستدرك الحاكم ؛ لأن فيه أحاديث ضعيفة وبعض الموضوعات، وهذا تسامح من المؤلف رحمه الله .

2 - سورة طه آية : 72.

3 - كذا وقع هنا، وفي جميع النسخ المطبوعة [الشرك في هذه الأمة أخفى ..] وكذلك في المستدرك 2/291 ليس فيه [في هذه الأمة] .

4 - أخرجه الحاكم في المستدرك 2/291 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله : عبد الأعلى . قال الدارقطني : ليس بثقة . فالحديث ضعيف، ولكن الطرف الأول منه ورد من عدة طرق، وإن كانت ضعيفة، إلا أنها ترتقي بالحديث إلى درجة الحسن. انظر مجمع الزوائد 10/226 ، 227 . وأحمد في مسنده 4/403 ، 417 وأبو يعلى في مسنده رقم (58) و (60) و(61) وعزاه السيوطي في الدار المنثور 2/179 إلى ابن أبي حاتم . وأبو نعيم في الحلية والحاكم وكذلك الشوكاني في فتح القدير 1/504 .

وَالْمَعْنَى أَنَّ مَحَبَّةَ اَللَّهِ إِذَا اِسْتَغْرَقَ بِهَا اَلْقَلْبُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ لَمْ تَنْبَعِثْ اَلْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى مَرَاضِي اَلرَّبِّ, وَصَارَتْ اَلنَّفْسُ حِينَئِذٍ مُطْمَئِنَّةً (فَفَنِيَتْ) [1] بِإِرَادَةِ مَوْلَاهَا عَنْ مَرَادِهَا وَهَوَاهَا

يَا هَذَا اُعْبُدْ اَللَّهَ لِمُرَادِهِ مِنْكَ لَا لِمُرَادِكَ مِنْهُ, فَمَنْ عَبَدَهُ لِمُرَادِهِ مِنْهُ فَهُوَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اَللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ, وَمَتَى قَوِيتِ اَلْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ لَمْ يُرِدْ صَاحِبُهَا إِلَّا مَا يُرِيدُهُ مَوْلَاهُ

وَفِي بَعْضِ اَلْكُتُبِ اَلسَّالِفَةِ "مَنْ أَحَبَّ اَللَّهَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرَ مِنْ رِضَاهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ اَلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرَ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ"

وَرَوَى اِبْنُ أَبِي اَلدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ اَلْحَسَنِ قَالَ "مَا نَظَرْتُ بِبَصَرِي, وَلَا نَطَقْتُ بِلِسَانِي ، وَلَا بَطَشْتُ بِيَدِي, وَلَا نَهَضْتُ عَلَى قَدَمَي, حَتَّى أَنْظُرَ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ فَإِذَا كَانَتْ طَاعَةٌ تَقَدَّمْتُ ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْصِيَةٌ تَأَخَّرْتُ"

هَذَا حَالُ خَوَاصِّ اَلْمُحِبِّينَ ، [2] فَافْهَمُوا - رَحِمَكُمْ اَللَّهُ - هَذَا, فَإِنَّهُ مِنْ دَقَائِقِ أَسْرَارِ اَلتَّوْحِيدِ اَلْغَامِضَةِ . وَإِلَى هَذَا اَلْمَقَامِ أَشَارَ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا قَدِمَ اَلْمَدِينَةَ حَيْثُ قَالَ : أَحِبُّوا اَللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ ، [3] وَقَدْ ذَكَرَهَا اِبْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ .

---

1 - عزاه السيوطي في الدر المنثور 2/177، 178 إلى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصري . وعزاه أيضًا إلى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق عباد بن منصور. وعزاه أيضًا إلى الحكيم الترمذي عن يحيى بن أبي كثير . وإلى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج . وكذلك الشوكاني في فتح القدير 1/503.

2 - كذا وقع في مخطوطتنا، وفي كل النسخ المطبوعة [ما يحبه وما يكرهه باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه] .

3 - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان 1/9 وفي كتاب الإكراه / باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 8/56 ومسلم في كتاب الإيمان / باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (67) و(68).

فَإِنَّ مَنْ اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اَللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَرَاغٌ لِشَيْءٍ مِنْ إِرَادَاتِ اَلنَّفْسِ وَالْهَوَى ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ اَلْقَائِلُ بِقَوْلِهِ

أَرُوحُ وَقَــدْ خَــتَمْتَ بِحُــبِّكَ أَنْ يَحُــلَّ بِــهِ
عَلَى فُــؤَادِي سِـوَاكا
فَلَـوْ أَنِّــي اِسْـتَطَعْتُ فَلَـمْ أَنْظُــرْ بِـهِ حَــتَّى
غَضَضْـتُ طَـرْفِي أَرَاكـا
أُحِـبُّكَ لَا بِبَعْـضِـــي وَإِنْ لَـمْ يُبْـقِ حُبُّـكَ لِي
بَــلْ بكُلِــي جِـرَاكـا
وَفِــي اَلْأَحْبَــابِ وَآخَــرُ يَـدَّعِي مَعَـهُ
مَخْــصُوصٌ بِوَجْــدٍ اِشْــتِرَاكا
إِذَا اِشْــتَبَكَـتْ دُمُـوعٌ تَبَيَّـنَ مَـن بَكَــى مِمَّـن
فِــي خُـــدُودٍ تَبَـاكَى

فَـأَمَّــا مَـنْ بَكَـى فَـيَـذُوبُ وَيَنْطِـقُ بِالْهَــوَى مَـنْ قَـدْ وَجْــدًا تَشَاكَى

مَتَى بَقِيَ لِلْمُحِبِّ مِنْ نَفْسِهِ حَظٌّ فَمَا بِيَدِهِ مِنَ اَلْمَحَبَّةِ إِلَّا اَلــدَّعْوَى, إِنَّمَا اَلْمُحِبُّ مَنْ يَفْنَى عَنْ نَفْسِهِ كُلِّهُ ، وَيَبْقَى بِحَبِيبِـهِ, " فَبِـي يَسْـمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ".

اَلْقَلْبُ بَيْتُ اَلـرَّبِّ : وَفِـي اَلْإِسْـرَائِيلِيَّاتِ يَقُـولُ اَللَّـهُ " مَـا وَسِـعَنِي سَمَائِي [1] وَلَا أَرْضِي . وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي اَلْمُؤْمِنِ " [2]

فَمَتَى كَانَ اَلْقَلْبُ فِيهِ غَيْرُ اَللَّهِ ، فَاَللَّهُ أَغْنَى اَلْأَغْنِيَاءِ عَنْ اَلشِّرْكِ [3] وَهُوَ لَا يَرْضَى بِمُزَاحَمَةِ أَصْنَامِ اَلْهَوَى

اَلْحَقُّ - تَعَالَى- غَيُورٌ ، يَغَارُ عَلَى عَبْدِهِ اَلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْكُنَ فِـي قَلْبِـهِ سِوَاهُ, وَأَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ لَا يَرْضَاهُ

أَرَدْنَـــاكُمْ صِرْفًـــا فَلَمَّــا مَزَجْــتُمْ

بَعُـــدْتُمْ بِمِقْـــدَارِ اِلْتِفَـــاتِكُمْ عَنَّـــا

وَقُـلْنَـا لَكُـمْ لَا تُسْكِنُـوا اَلْقَلْـبَ غَيْـرَنَا

فَأَسْـكَنْتُـمْ اَلْأَغْيَـــارَ مَـا أَنْتُـــمْ مِنَّـــا

---

1 - لقد تقرر في الأصول وصار من عُمَد الشريعة وقواعدها المعتبرة تلازم الظاهر والباطن. فقال الشاطبي - رحمه الله - في الموافقات 1/233 : [ومـن هنـا جعلـت الأعمـال الظاهرة في الشرع دليلاً على ما في الباطن . فإذا كان الظاهر منخرمًا حكم على الباطن بذلك أو مستقيمًا حكم على الباطن بذلك أيضًا . وهو أصل عام في الفقه وسـائر أحكـام العاديات والتجريبات . بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جدا . والأدلة على صحته كثيرة جدًا . وكفى بذلك عمدة في أنه الحاكم بإيمان المؤمن وكفـر الكـافر وطاعة المطيع وعدالة العدل وجرحة المجرح. وبذلك تنعقد العقود وترتبط المواثيق إلى غير ذلك من الأمور. بل هو كلية التشـريع وعمـدة التكليـف بالنسـبة إلـى إقامـة الشـعائر الإسلامية الخاصة والعامة] انتهى . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى 7/187 [فإذا كان القلب صـالحًا بمـا فيـه مـن الإيمـان علمًـا وعملاً قلبيًـا لـزم ضرورة الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق . كما قال أئمة أهل الحديث : قول وعمل . قول باطن وظاهر ، وعمل بـاطن وظـاهر . والظـاهر تـابع للبـاطن ، لازم لـه . متى صلح الباطن صلح الظاهر ، وإذا فسد فسد ، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث لو خشع قلب هذا لخشعت جوراحه. فلابد فـي إيمـان القلـب م ن حـب اللـه ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما] . انتهى . وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتاب الصلاة ص 25 : [فإنه يلزم من عدم طاعـة القلـب عـدم طاعـة الجوارح . إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت. ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصـديق المسـتلزم للطاعـة وهـو حقيقـة الإيمـان . فـإن الإيمـان ليـس مجـرد التصديق - كما تقدم بيانه - وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد] انتهى . وقال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتاب جامع العلـوم والحكـم ص 65 ، 66 : [فـإن أعمـال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب ، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئًا من محبة الله -تعالى- ومحبة طاعته وكراهة معصيته ... ثم قـال : وحركـات الجسـد تابعـة لحركـة القلب وإرادته . فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله. وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركـات الجسـد بحسـب فسـاد القلب] انتهى .

2 - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق/ باب التواضع 7/190.

3 - كذا وقع في مخطوطتنا، وفي نسخة ش من كل النسخ المطبوعة .

اَلنَّجَاةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ اَلْقَلْبِ اَلسَّلِيمِ

لَا يَنْجُو غَدًا إِلَّا مَنْ لَقِيَ اَللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، لَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ . قَالَ اَللَّهُ - تَعَالَى - : [illegible] (1) اَلشُّعَرَاءُ : 88-89

اَلْقَلْبُ اَلسَّلِيمُ : هُوَ اَلطَّاهِرُ مِنْ أَدْنَاسِ اَلْمُخَالفَات, فَأَمَّا اَلْمُتَلَطِّخُ بِشَيْءٍ مِنَ اَلْمَكْرُوهَاتِ فَلَا يَصْلُحُ لِمُجَاوَرَةِ حَضْرَةِ اَلْقُدُسِ (2) إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُطَهَّرَ فِي كِيرِ اَلْعَذَابِ ، فَإِذَا زَالَ مِنْهُ اَلْخَبَثُ صَلَحَ حِينَئِذٍ لِلْمُجَاوَرَةِ (3) ، إِنَّ اَللَّهَ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا (4) .

فَأَمَّا اَلْقُلُوبُ اَلطَّيِّبَةُ فَتَصْلُحُ لِلْمُجَاوَرَةِ مِنْ أَوَّلِ اَلْأَمْرِ : [illegible] (5) اَلزُّمَر : 73 ، [illegible] (6) اَلنَّحْلُ : 32

وَمَنْ لَمْ يُحْرِقْ اَلْيَوْمَ قَلْبَهُ بِنَارِ اَلْأَسَفِ عَلَى مَا سَلَفَ ، أَوْ بِنَارِ اَلشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ اَلْحَبِيبِ, فَنَارُ جَهَنَّمَ لَهُ أَشَدُّ حَرًّا .

مَا يَحْتَاجُ إِلى اَلتَّطَهُّرِ بِنَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا مَنْ لَمْ يُكْمِلْ تَحْقِيقِ اَلتَّوْحِيدِ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ

---

1 - سورة الشعراء آية : 88-89.

2 -

3 - كذا واقع في مخطوطتنا، وفي كل النسخ المطبوعة [المحبين الصادقين].

4 - ذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية 2/146،147 بدون سند وكذلك أورده الإمام البيهقي في دلائل النبوة 2/524، 525.

5 - سورة الزمر آية : 73.

6 - سورة النحل آية : 32.

اِحْذَرُوا اَلرِّيَاءَ

أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِ اَلنَّارُ مِنَ اَلْمُوَحِّدِينَ اَلْعُبَّادِ اَلْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَأَوَّلُهُمْ اَلْعَالِمُ, وَالْمُجَاهِدُ, وَالْمُتَصَدِّقُ لِلرِّيَاءِ [1] ؛ لِأَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ

مَا يَنْظُرُ الْمُرَائِي إِلَى اَلْخَلْقِ فِي عَمَلِهِ إِلَّا لِجَهْلِهِ بِعَظَمَةِ اَلْخَالِقِ

الْمُرَائِي يُزَوِّرُ اَلتَّوَاقِيعَ عَلَى اسْمِ اَلْمَلِكِ; لِيَأْخُذَ اَلْبَرَاطِيلَ [2] لِنَفْسِهِ, وَيُوهِمَ أَنَّهُ مِنْ خَاصَّةِ اَلْمَلِكِ ، وَهُوَ مَا يَعْرِفُ اَلْمَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ .

نَقْشُ الْمُرَائِي عَلَى اَلدِّرْهَمِ اَلزَّائِفِ اِسْمَ اَلْمَلِكِ لِيُرَوِّجَ ، وَالْبَهْرَجُ [3] مَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى غَيْرِ اَلنَّاقِدِ .

وَبَعْدَ أَهْلِ اَلرِّيَاءِ يَدْخُلُ اَلنَّارَ أَصْحَابُ اَلشَّهَوَاتِ ، وَعَبِيدُ اَلْهَوَى ، اَلَّذِينَ أَطَاعُوا هَوَاهُمْ ، وَعَصَوْا مَوْلَاهُمْ ، فَأَمَّا عَبِيدُ اَللَّهِ حَقًّا ، فَيُقَالُ لَهُمْ : [illegible] [4] اَلْفَجْرُ : 27 - 30 .

نَارُ جَهَنَّمَ تَنْطَفِئُ بِنُورِ إِيمَانِ اَلْمُوَحِّدِينَ .

فِي اَلْحَدِيثِ : « تَقُولُ اَلنَّارُ لِلْمُؤْمِنِ : جُزْ [5] فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي » [6] .

---

1 - كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ماعدا نسخة ش ففيها [سمواتي] .

2 - لقد أجاد المؤلف -رحمه الله- عندما عزا هذا الأثر إلى الإسرائيليات . فقد اشتهر بين كثير من العوام والصوفية أن هذا حديث مرفوع ، وهو ليس كذلك ، بل لا أصل لـه فقـد سئل شيخ الإسلام عنه فأجاب -رحمه الله- :[الحمد لله ، هذا ما ذكروه في الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعناه : وسع قلبه محبتي ومعرفتي. وما يروى: القلب بيت الرب . هذا من جنس الأول . فإن القلب بيت الإيمان بالله تعالى ومعرفته ومحبته] انتهى. انظر مجموعة الفتاوى 18/122. وقال كلاما قريبا من ذلك في ص 376.

3 -

4 - سورة الفجر آية : 27-30.

5 -

وَفِي اَلْمُسْنَدِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ لَا يَبْقَى [مُؤْمِنٌ] [1] وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَتَكُونُ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا ، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ ﷺ [2] .

هَذَا مِيرَاثٌ وَرِثَهُ اَلْمُحِبُّونَ مِنْ حَالِ اَلْخَلِيلِ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ .

نَارُ اَلْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ اَلْمُحِبِّينَ تَخَافُ مِنْهَا نَارُ جَهَنَّمَ .

قَالَ اَلْجُنَيْدُ : قَالَتْ اَلنَّارُ : يَا رَبِّ لَوْ لَمْ أُطِعْكَ هَلْ كُنْتَ تُعَذِّبْنِي بِشَيْءٍ ؟ [3] قَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أُسَلِّطُ عَلَيْكَ نَارِي اَلْكُبْرَى . قَالَتْ : وَهَلْ هُنَاكَ نَارٌ أَعْظَمُ مِنِّي وَأَشَدُّ ؟ قَالَ : نَارُ مَحَبَّتِي أَسْكَنْتُهَا أَوْلِيَائِي اَلْمُؤْمِنِينَ [4] .

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلَا

أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوِّدُهَا [5]

---

6 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه. أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق / باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (2985) وأحمد في مسنده 201،435 ، وابن ماجه في كتاب الزهد / باب الرياء والسمعة رقم (4202) وأبو يعلى في مسنده رقم (6552).

1 - كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [القدوس].

2 - أما دَنَس الكفر والشرك - إن مات عليه صاحبه- لا تنفع فيه النار حتى يتطهر منه، فيظل خالدا مخلدا في الجحيم . أعاذني الله وإياكم منها ومن حرها وسمومها وعذابها ووقاني وإياكم شرورها .

3 - أخرجه مسلم في كتاب الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (1015) وأحمد في مسنده 2/ 328 والترمذي في كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة البقرة، رقم (2989) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب .

4 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل أستشهد . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت. قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن . فأتي به . فعرفه نعمه فعرفها . قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن. قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم . وقرأت القرآن ليقال قاريء. فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورحل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال:ما تركت من سبيل تحب أن يُنْفَق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال: كذبت . ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار". أخرجه مسلم في كتاب الإمارة / باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم (1905) والترمذي في كتاب الزهد / باب ما جاء في الرياء والسمعة، رقم (2382) وقول المؤلف - رحمه الله - [أول مَن تُسَعَّر به النار من الموحدين] دلالة على أنهم مسلمون وليسوا كفارا، ولكنهم يعذبون في النار على عدم إخلاصهم في هذه الأعمال . وهذا اختيار الشاطبي - رحمه الله- كما ذكره في الموافقات وغيره من العلماء.

5 - البراطيل: جمع برطيل بكسر الباء، وهو الرشوة ، ويقال في المثل : البراطيل تنصر الأباطيل. كأنه مأخوذ من البرطيل الذي هو المعول؛ لأنه يستخرج به ما استتر . وفتح الباء عاميّ . انظر المصباح المنير ص 42.

فَفِـي فُـؤَادِ اَلْمُحِـبِّ نَـارٌ جَـوَى

أَحَــرُّ نَــارِ اَلْجَحِـيمِ أَبْرَدُهَـا

لَـوْلَا دُمُـوعُ اَلْمُحِبِّينَ تُطْفِيءُ بَعْـضَ

حَـرَارَةِ اَلْوَجْـدِ لَاحْتَرَقُـوا كَمَـدا

دَعُـوهُ يُطْفِـي بِـالدُّمُوعِ حَــرَارَةً

عَلَـى كَبِـدٍ حَـرَّى دَعُوهُ دَعُـوهُ!

سَـلُوا عَاذِلِيـهِ يَعْـذُرُوهُ هُنَيْهَــةً

فَبِالْعَذَلِ دُونَ اَلشَّـوْقِ قَـدْ قَتَلُـوهُ!

كَانَ بَعْضُ اَلْعَارِفِينَ ، يَقُولُ : أَلَيْسَ عَجَبًا أَنْ أَكُـونَ حَيًّـا بَيْـنَ أَظْهُرِكُمٍ ، وَفِي قَلْبِي مِنْ اَلِاشْتِيَاقِ إِلَى رَبِّـي مِثْـلَ شُـعَلِ اَلنَّـارِ اَلَّتِي لَا تَنْطَفِئُ ؟ [1]

---

1 -

وَلَمْ أَرَ مِثْـلَ نَارِ اَلْحُـبِّ (1)

نَارًا تَزِيـدُ بِبُعْـــدِ مُوقِدِهَــا اِتِّقَادًا

مَا لِلْعَارِفِينَ شُغْلٌ بِغَيْرِ مَوْلَاهُمْ ، وَلَا هَمَّ فِي غَيْرِهِ .

فِي اَلْحَدِيثِ : ﷺ مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ غَيْرُ اَللَّـهِ فَلَيْـسَ مِـنْ اَللَّـهِ ﷻ . (2)

قَـالَ بَعْضُـهُمْ : مَـنْ أَخْبَـرَكَ أَنَّ وَلِيَّـهُ لَـهُ هَـمٌّ فِـي غَيْـرِهِ فَلَا تُصَدِّقْهُ .

وَكَانَ دَاوُدُ اَلطَّائِيَّ يَقُولُ فِي اَللَّيْلِ : هَمُّكَ عَطَّلَ عَلِيَّ اَلْهُمُومَ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اَلسُّهَادِ ، وَشَوْقِي إِلَى اَلنَّظَرِ إِلَيْكَ أَوْبَقَ مِنِّي اَللَّذَّاتِ ، وَحَـالَ بَيْنِـي وَبَيْـنَ اَلشَّـهَوَاتِ ، فَأَنَـا فِـي سِـجْنِكَ أَيُّهَـا اَلْكَرِيمُ [مَطْلُوبٌ] (3)

مَا لِي شُغْلٌ سِوَاهُ مَا لِي شُغْلُ

مَا يَصْرِفُ عَنْ هَوَاهُ قَلْبِي عَذَلُ (4)

مَا أَصْنَعُ إِنْ جَفَا وَخَـابَ اَلْأَمَـلُ ؟

1 - البهرج : مثل جعفر . الرديء من الشيء .. ودرهمٌ بهرجٌ : رديء الفضة . وبُهْرِجَ الشيء بالبناء للمفعول أخذ به على غير الطريق . المصباح المنير ص 64.

2 - كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة:[جُز يا مؤمن .

3 - قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 10 63 رواه الطبراني، وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف . وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (3413) .

4 - كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [بَرٌّ] .

مِنِّي بَـدَلٌ وَمِنْـهُ مَا لِـي بَدَلُ

إِخْوَانِي : إِذَا فَهِمْتُمْ هَذَا اَلْمَعْنَى فَهِمْتُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ مَـنْ شَـهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ صِدْقًا [1] مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اَللَّهُ عَلَى اَلنَّارِ [2] .

مَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ نَجَا مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ

فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ اَلنَّارَ مِنْ أَهْلِ اَلْكَلِمَةِ ، فَلِقِلَّةِ صِدْقِهِ فِي قَوْلِهَا ، فَـإِنَّ هَذِهِ اَلْكَلِمَةَ إِذَا صَدَقَتْ طَهَّرَتْ اَلْقَلْبَ مِنْ كُلِّ مَـا سِـوَى اَللَّـهِ ، وَمَتَـى بَقِيَ فِي اَلْقَلْبِ أَثَرٌ لِسِوَى [3] اَللَّهِ ، فَمِنْ قِلَّةِ اَلصِّدْقِ [4] فِي قَوْلِهَا مَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّـهُ ، لَـمْ يُحِـبْ سِـوَاهُ ، وَلَـمْ يَـرْجُ إِلَّا إِيَّاهُ, وَلَمْ يَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اَللَّهُ, وَلَمْ يَتَوَكَّـلْ إِلَّا عَلَـى اَللَّـهِ, وَلَـمْ يُبْـقِ لَـهُ بَقِيَّةً مِنْ آثَارِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ [5] .

وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ اَلْمَرَادَ أَنَّ اَلْمُحِبَّ مُطَـالَبٌ بِالْعِصْـمَةِ ، وَإِنَّمَـا هُوَ مُطَالَبٌ كُلَّمَا زَلَّ أَنْ يَتَلَافَى تِلْكَ اَلْوَصْمَةَ .

1 - أخرجه أحمد في المسند 3/ 328 ، 329 . وقال الهيثمي في المجمع 10 63 قلت : لجابرٍ حديثٌ في الصحيح موقوف غير هذا ، رواه أحمد ورجاله ثقات .

2 - كذا وقع في مخطوطتنا [هل كنت تعذبني بشيء ؟] وفي جميع النسخ [بشيء أشد مني ؟] .

3 - الله أعلم بصحة هذا الكلام .

4 - كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ المطبوعة [أرددها] .

5 - كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ المطبوعة [الشُّعَل] .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : إِنَّ اَللَّهَ لَيُحِبُّ اَلْعَبْدَ حَتَّى يَبْلُغَ مِنْ حُبِّـهِ لَـهُ أَنْ يَقُولَ : اِذْهَبْ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ [1]

وَقَالَ اَلشَّعْبِيُّ إِذَا أَحَبَّ اَللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرّهُ ذَنْبُهُ [2]

وَتَفْسِيرُ هَذَا اَلْكَلَامِ أَنَّ اَللَّهَ لَهُ عِنَايَةٌ بِمَنْ يُحِبُّـهُ مِـنْ عِبَـادِهِ ، فَكُلَّمَا زَلَقَ ذَلِكَ اَلْعَبْدُ فِي هُوَّةٍ أَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى اَلِاعْتِذَارِ ، وَيَبْتَلِيـهُ بِمَصَائِبَ مُكَفِّرَةٍ لِمَا جَنَى

وَفِي بَعْضِ اَلْآثَارِ : يَقُولُ اَللَّهُ : أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَـتِي ، وَأَهْـلُ طَـاعَتِي أَهْـلُ كَرَامَتِـي, وَأَهْـلُ مَعْصِـيَتِي لَا أُيَئِسُـهُمْ مِـنْ رَحْمَتِي ، إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُـمْ ، وَإِنْ لَـمْ يَتُوبُـوا فَأَنَـا طَبِيبُهُـمْ ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَائِبِ [3] .

وَفِي صَـحِيحِ مُسْـلِمٍ عَـنْ جَـابِرٍ عَـنْ اَلنَّبِـيِّ قَـالَ اَلْحُمَّـى تُـذْهِبُ اَلْخَطَايَـا كَمَـا يُـذْهِبُ اَلْكِيـرُ اَلْخَبَـثَ [4] وَفِـي اَلْمُسْـنَدِ وَصَـحِيحِ اِبْـنِ حِبَّـانَ عَـنْ عَبْـدِ اَللَّـهِ بْـنِ مُغَفَّـلٍ أَنَّ رَجُلاً لَقِـيَ اِمْرَأَةً كَانَتْ بَغِيًّا فِي اَلْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَعَلَ يُلَاعِبُهَا حَتَّـى بَسَـطَ يَـدَهُ إِلَيْهَا ، فَقَـالَتْ مَـهْ فَـإِنَّ اَللَّـهَ أَذْهَـبَ اَلشِّـرْكَ وَجَـاءَ بِالْإِسْـلَامِ ، فَتَرَكَهَا وَوَلَّى ، فَجَعَـلَ يَلْتَفِـتُ خَلْفَـهُ وَيَنْظُـرُ إِلَيْهَـا حَتَّـى أَصَـابَ وَجْهُهُ حَائِطًا ، فَأَتَى اَلنَّبِيَّ وَالدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِـهِ ، فَـأَخْبَرَهُ بِالْأَمْرِ فَقَالَ أَنْتَ عَبْدٌ أَرَادَ اَللَّهُ بِكَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اَللَّهَ إِذَا

---

1 -

2 - كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ما عدا نسخة (ش)[المحبين].

3 -

4 - أخرجه الحاكم في المستدرك 4/ـ 320 بزيادة (ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم] . وقال الذهبي: [إسحاق ومقاتل ليسا بثقتين ولا صادقين] . والخطيب البغدادي فـي تاريخه 9 73 بلفظ: [وهمه الدنيا] . وعند الهيثمي في المجمع 10/251 بزيادة [ومن أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس منا] وقال : رواه الطبراني وفيـه يزيـد بـن ربيعة الرحبي، وهو متروك .

أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ عُقُوبَتَهُ فِي اَلدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ ذَنْبَهُ حَتَّى يُوَافِيَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ [1] .

يَا قَوْمُ ! قُلُوبُكُمْ عَلَى أَصْلِ اَلطَّهَارَةِ ، وَإِنَّمَا أَصَابَهَا رَشَاشٌ مِنْ نَجَاسَةِ اَلذُّنُوبِ ، فَرُشُّوا عَلَيْهَا قَلِيلاً مِنْ دَمْعِ اَلْعُيُونِ ، وَقَدْ طَهُرَتْ

اِعْزِمُوا عَلَى فِطَامِ اَلنُّفُوسِ عَنْ رَضَاعِ اَلْهَوَى ، فَالْحِمْيَةُ رَأْسُ اَلدَّوَاءِ [2] .

مَتَى طَالَبَتْكُمْ بِمَأْلُوفَاتِهَا ، فَقُولُوا لَهَا ، كَمَا قَالَتْ تِلْكَ اَلْمَرْأَةُ لِذَلِكَ اَلرَّجُلِ ، اَلَّذِي دُمِيَ وَجْهُهُ قَدْ أَذْهَبُ اَللَّهُ بِالشِّرْكِ وَجَاءَ بِالْإِسْلَامِ ، وَالْإِسْلَامُ يَقْتَضِي اَلِاسْتِسْلَامَ وَالِانْقِيَادَ لِلطَّاعَةِ

ذَكِّرُوهَا مِدْحَةُ [3] (خطأ)فُصِّلَتْ لَعَلَّهَا تَحِنُّ إِلَى اَلِاسْتِقَامَةِ عَرِّفُوهَا اِطِّلَاعَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ حَبْلِ اَلْوَرِيدِ لَعَلَّهَا تَسْتَحِي مِنْ قُرْبِهِ وَنَظَرِهِ [4] خطأالْعَلَقُ اَلْفَجْرُ :14 .

رَاوَدَ رَجُلٌ اِمْرَأَةً فِي فَلَاةٍ لَيْلاً فَأَبَتْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يَرَانَا إِلَّا اَلْكَوَاكِبُ ، قَالَتْ : فَأَيْنَ مُكَوْكِبُهَا ؟

أَكْرَهَ رَجُلٌ اِمْرَأَةً عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَمَرَهَا بِغَلْقِ اَلْأَبْوَابِ ، فَفَعَلَتْ ، فَقَالَ لَهَا هَلْ بَقِيَ بَابٌ لَمْ تُغْلِقِيهِ? قَالَتْ : نَعَمْ ، اَلْبَابُ اَلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ اَللَّهِ, فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا .

---

1 - كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ما عدا نسخة (ش) فسقطت كلمة [مطلوب] .

2 - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (أ) و (ز) و (ط) وفى نسخة (ش) [ما يصرف قلبي عن هواه عدْل] وفى نسخة (س) [ما يصرف عن هوى قلبي عدْل] وكذلك نسخة (ع) .

3 - سورة فصلت آية : 30.

4 - سورة الفجر آية : 14.

رَأَى بَعْضُ اَلْعَارِفِينَ رَجُلاً يُكَلِّمُ اِمْرَأَةً ، فَقَالَ إِنَّ اَللَّهَ يَرَاكُمَا ، سَتَرنَا اَللَّهُ وَإِيَّاكُمَا!

سُئِلَ اَلْجُنَيْدُ بِمَ يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ اَلْبَصَرِ ؟ قَالَ : بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ اَللَّهِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِكَ إِلَى مَا تَنْظُرُ

وَقَالَ اَلْمُحَاسَبِيُّ : اَلْمُرَاقَبَةُ عِلْمُ اَلْقَلْبِ بِقُرْبِ اَلرَّبِّ

كُلَّمَا قَوِيتْ اَلْمَعْرِفَةُ بِاَللَّهِ قَوِيَ اَلْحَيَاءُ [مِنْ قُرْبِهِ وَنَظَرِهِ] .

وَصَّى اَلنَّبِيُّ رَجُلاً أَنْ يَسْتَحِيَ مِنْ اَللَّهِ كَمَا يَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : اِسْتَحِ مِنْ اَللَّهِ عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ ، وَخِفِ اَللَّهَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ

كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا خَطَوْتُ خُطْوَةً لِغَيْرِ اَللَّهِ ، وَلَا نَظَرْتُ إِلَى شَيْءٍ أَسْتَحْسِنُهُ حَيَاءً مِنْ اَللَّهِ-عَزَّ وَجَلَّ :-

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرْعَى خَوَاطِرِي

وَآخَرُ يَرْعَى نَاظِرِي وَلِسَانِي

فَمَا أَبْصَرَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا

لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي

وَلَا بَدَرَتْ مِـنْ فِيَّ بَعْـدَكَ لَفْظَةٌ

لِغَـيْرِكَ إِلَّا قُلْـتُ قَـدْ سَـمِعَانِي

وَلَا خَطَـرَتْ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِكَ خَطْرَةٌ

عَلَـى اَلْقَلْـبِ إِلَّا عَرَّجَـا بِعَنَانِـي

فَضَائِلُ كَلِمَةِ اَلتَّوْحِيدِ

وَكَلِمَةُ اَلتَّوْحِيـدِ لَهَـا فَضَـائِلُ عَظِيمَـةٌ لَا يُمْكِـنُ هَاهُنَـا اِسْتِقْصَـاؤُهَا; فَلْنَذْكُرْ بَعْضَ مَا وَرَدَ فِيهَا

فَهِيَ كَلِمَةُ اَلتَّقْوَى ، كَمَا قَالَهُ عُمَرُ وَغَيْرُهُ مِنْ اَلصَّحَابَةِ

وَهِيَ كَلِمَةُ اَلْإِخْلَاصِ ، وَشَهَادَةُ اَلْحَـقِّ وَدَعْـوَةُ اَلْحَـقِّ ، وَبَـرَاءةٌ مِـنْ اَلشِّرْكِ ، وَنَجَاةُ هَذَا اَلْأَمْرِ [1] وَلِأَجْلِهَا خُلِقَ اَلْخَلْقُ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى : [illegible] [2] اَلذَّرِيَاتُ : 56 .

وَلِأَجْلِهَا أُرْسِلَتْ اَلرُّسُلُ وَأُنْزِلَتْ اَلْكُتُبُ ، [3] قَـالَ - تَعَـالَى - : [illegible]

1 - كذا وقع في مخطوطتنا، وفي بعض النسخ المطبوعة [لما سوى] وفي بعضها الآخر [سوى] .

2 - سورة الذاريات آية : 56.

3 - كذا وقـع فـي مخطوطتنا وكل النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ش)[صدقه] .

[illegible] [1] اَلْأَنْبِيَاءُ : 25 وَقَالَ - تَعَالَى - [illegible]

[illegible] [2] اَلنَّحْلُ : 2 .

وَهَذِهِ اَلْآيَةُ أَوَّلُ مَا عَدَّدَ [عَلَى عِبَادِهِ] [3] مِنْ اَلنَّعَمِ فِي سُورَةِ اَلنِّعَمِ اَلَّتِي تُسَمَّى سُورَة اَلنَّحْلِ ، وَلِهَذَا قَالَ اِبْنُ عُيَيْنَةَ : مَا أَنْعَمَ اَللَّهُ [عَلَى اَلْعِبَادِ [4] نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، وَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ لِأَهْلِ اَلْجَنَّةِ كَالْمَاءِ اَلْبَارِدِ لِأَهْلِ اَلدُّنْيَا; وَلِأَجْلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ اَلثَّوَابِ وَدَارُ اَلْعِقَابِ ، [فِي اَلْآخِرَةِ] [5] .

[فَمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ عَلَيْهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ دَارِ اَلثَّوَابِ ، وَمَنْ رَدَّهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلْعِقَابِ] [6] .

وَمِنْ أَجْلِهَا أُمِرَتْ اَلرُّسُلُ بِالْجِهَادِ ، فَمَنْ قَالَهَا عُصِمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَمَنْ أَبَاهَا فَمَالُهُ وَدَمُهُ [هَدَرٌ] [7]

وَهَي مِفْتَاحُ دَعْوَةِ اَلرُّسُلِ ، وَبِهَا كَلَّمَ اَللَّهُ مُوسَى كِفَاحًا .

وَفِي مُسْنَدِ اَلْبَزَّارِ وَغَيْرِهِ عَنْ عِيَاضٍ اَلْأَنْصَارِيِّ عَنْ اَلنَّبِيِّ قَالَ : [illegible] إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ كَلِمَةُ [حَقٍّ] [8] عَلَى اَللَّهِ كَرِيمَةٌ ، وَلَهَا مِنْ اَللَّهِ

---

1 - سورة الأنبياء آية : 25.

2 - سورة النحل آية : 2.

3 - فإن مدار النجاة في الدنيا والآخرة علي الصدق ، كما بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم - للذي جاءه يسأله عن أركان الإسلام وفرائضه فقال للرسول : لا أزيد على ذلك ولا أنقص . فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " أفلح إن صدق" والحديث في البخاري في كتاب الإيمان / باب الزكاة من الإسلام 1/17 .

4 - كما قيل لأهل بدر لما نالوا محبة الله- عز وجل - ولا يفهم من ذلك إباحة فعل الكفر والشرك في حقهم ؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به [فاعمل ما شئت] محمول على ما دون الكفر والشرك ، وأن الله - عز وجل - يعصمهم من الوقوع في ذلك.

5 -

6 - وهذا صحيح؛ لأن الله - عز وجل - إذا أحب العبد وفَّقه لكثير من الطاعات ، وأعانه على فعل الخيرات ، فإذا زَلَّ في معصيةٍ وفَّقه الله أيضا للتوبة النصوح ، وذل لله وأنكسر، وخضع لله ما يجعله في حال أفضل مما كان عليه قبل المعصية. قال العلامة ابن القيم في كتابه الوابل الصيب ص 20: [فإذا أراد الله بعبده خيرا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه، ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما يكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله : يا ليتنى تركته ولم أوقعه. وهذا معنى قول بعض السلف : "إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار" . قالوا :كيف ؟ قال: "يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا وَجِلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى ، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له . فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة] ا.هـ.

7 - لم أقف عليه .

8 - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب / باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، رقم (4575) (53) .

مَكَانٌ ، وَهِيَ كَلِمَةُ [جُمِعَتْ وَشُرِكَتْ] [1] فَمَنْ قَالَهَا صَادِقًا أَدْخَلَهُ اَللَّهُ اَلْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا : أَحْرَزَتْ مَالَهُ ، وَحَقَنَتْ دَمَهُ ، وَلَقِيَ اَللَّهُ فَحَاسَبَهُ ﷺ [2] وَهِيَ مِفْتَاحُ اَلْجَنَّةِ [3] كَمَا تَقَدَّمَ .

وَهِيَ : ثَمَنُ اَلْجَنَّةِ [4] قَالَهُ اَلْحَسَنُ . وَجَاءَ مَرْفُوعًا مِنْ وُجُوهٍ ضَعِيفَةً :

ﷺ مَنْ كَانَتْ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ ﷺ [5] .

وَهِيَ : نَجَاةٌ مِنْ اَلنَّارِ .

ﷺ وَسَمِعَ اَلنَّبِيَّ ﷺ مُؤَذِّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، فَقَالَ خَرَجَ مِنْ اَلنَّارِ ﷺ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ [6]

وَهِيَ : تُوجِبُ اَلْمَغْفِرَةَ :

فِي اَلْمُسْنَدِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَعُبَادَةَ بْنِ اَلصَّامِتِ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا : اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ, وَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً ، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَدَهُ, ثُمَّ قَالَ :

---

1 - أخرجه أحمد في مسنده 4/87 وابن حبان رقم (2455) موارد، والحاكم في المستدرك 149 و4 76،377 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وأبو يعلى في مسنده بدون ذكر القصة رقم (4252).

2 - الحمية: الإقلال من الطعام والإقلال من الذنوب، ومن كل ما يضر فهو أساس الدواء ورأسه.

3 - كذا في مخطوطتنا وبعض النسخ وسقط من نسخة (س) و (ع) .

4 - عن سعيد بن زيد أنه سمع أبا الجذ يقول : إن رجلا قال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- : أوصني : قال :أوصيك أن تستحي الله - عز وجل- كما تستحي رجلا صالحا من قومك أخرجه أحمد في كتاب الزهد ص 59.قال الهيثمي في المجمع 10/287 رواه الطبراني ورجاله وُثِّقُوا على ضعف في بعضهم.

5 - قال الإمام العلامة ابن القيم في كتابه "طريق الهجرتين" ص 296،297 : [فحقيق لمن نصح نفسه، وأحب سعادتها ونجاتها، أن يتيقظ لهذه المسألة ، علما وعملا وحالا. وتكون أهم الأشياء عنده، وأجلّ علومه وأعماله. فإن الشأن كله فيها . والمدار عليها . والسؤال يوم القيامة عنها، قال تعالى : { فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون } [الحجر: 92-93] قال غير واحد من السلف : هو عن قول "لا اله إلا الله". وهذا حق ، فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها . فلا يُسْأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها. وقال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالسؤال عماذا كانوا يعبدون ، هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عما أجابوا المرسلين ، سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها : هل سلكوها وأجابوا الرسل لَمَّا دعؤهم إليها ، فعاد السؤال كله إليها. وأمرُ هذا شأنه حقيقٌ بأن تنعقد عليه الخناصر وبعض عليه بالنواجذ ويقبض فيه علي الخمر ، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يُطْلَب على فضلة. بل يُجْعَل هو المطلب الأعظم ، وما سواه إنما يُطْلَب على الفضيلة .. والله الموفق ، لا إله غيره ولا رب سواه] ا.هـ.

6 - قال العلامة صدِّيق حسن خان في كتابه "الدين الخالص" 1/187 : [لا إله إلا الله هي العروة الوثقى وكلمة الله العليا ، وهي الحنيفية السمحة السهلة البيضاء ، وهى ملة أبينا إبراهيم - عليه السلام - سيد الموحدين وإمام المتقين ، وخليل رب العالمين ، وهي التي جعلها كلمة باقية في عقبه إلي يوم الدين ، وهي التي لأجلها والتأهل بها خلقت المخلوقات ، وبها قامت الأرضون السبع والسماوات وبها نطقت الموجودات ، ولأجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل . قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }، { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } . وقال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } . المراد اعتقاد معنى هذه الكلمة الإلهية والجملة القدوسية بالقلب السليم عن الشرك السقيم . وأما التلفظ بها باللسان مع الجهل بمُرَادها والعمل بمقتضاها ، فليس من إخلاص التوحيد في صدر ولا ورد . ولا ينفع ذلك نفعًا ولا يغنى من عذاب الله شيئًا ولا يكشف ضرًا [انتهي .

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ! اَللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ اَلْكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا ، وَوَعَدْتَنِي اَلْجَنَّةَ عَلَيْهَا ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ اَلْمِيعَادَ ، ثُمَّ قَالَ : أَبْشِرُوا فَإِنَّ اَللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ [1]

وَهِيَ : أَحْسَنُ اَلْحَسَنَاتِ :

قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اَللَّهِ ! عَلِّمْنِي عَمَلاً يُقَرِّبُنِي مِنَ اَلْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنْ اَلنَّارِ ، قَالَ : إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ حَسَنَةً ، فَإِنَّهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اَللَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مِنَ اَلْحَسَنَاتِ ؟ قَالَ هِيَ أَحْسَنُ اَلْحَسَنَاتِ [2]

وَهِيَ : تَمْحُو اَلذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا :

وَفِي سُنَنِ اِبْنِ مَاجَهْ عَنْ أَمْ هَانِئٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ [3]

رُئِيَ بَعْضُ اَلسَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي اَلْمَنَامِ ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : مَا أَبْقَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ شَيْئًا .

وَهِيَ : تُجَدِّدُ مَا دُرِسَ مِنَ اَلْإِيمَانِ فِي اَلْقَلْبِ :

وَفِي اَلْمُسْنَدِ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا ؟ قَالَ : قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ [4]

وَهِيَ اَلَّتِي لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ فِي اَلْوَزْنِ ، فَلَوْ وُزِنَتْ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رَجَحَتْ بِهِنَّ .

كَمَا فِي اَلْمُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : آمُرُكَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اَللَّهُ ، فَإِنَّ

1 - سقطت من بعض النسخ .

2 - في بعض النسخ [على عبد من العباد] .

3 - سقطت من جميع النسخ .

4 - كذا وقع فى مخطوطتنا ونسخة (ش) وسقط من باقي النسخ .

اَلسَّـمَاوَاتِ اَلسَّـبْعَ وَالْأَرَضِـينَ اَلسَّـبْعَ كُـنَّ فِـي حَلْقَـةٍ مُبْهَمَـةٍ قَصَمَتْهُنَّ [1] لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ [2] .

وَفِيهِ أَيْضًا عَـنْ عَبْـدِ اَللَّـهِ بْـنِ عَمْـرٍو [3] عَـنْ اَلنَّبِـيِّ ﷺ أَنَّ مُوسَى -عَلَيْـهِ اَلسَّـلَامُ- قَـالَ : يَـا رَبُّ عَلِّمْنِـي شَـيْئًا أَذْكُـرُكَ بِـهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى ! قُـلْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اَللَّـهُ ، قَـالَ : يَـا رَبِّ ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا . قَالَ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ . فَقَـالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ . قَالَ : يَا مُوسَى ! لَوْ أَنَّ اَلسَّمَاوَاتِ اَلسَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْـرِي وَالْأَرَضِـينَ اَلسَّـبْعَ فِـي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ﷺ [4]

وَلِذَلِكَ تَرْجَحُ بِصَـحَائِفِ اَلـذُّنُوبِ ، كَمَـا فِـي حَـدِيثِ اَلسِّـجِلَّاتِ وَالْبِطَاقَـةِ ، وَقَـدْ خَرَّجَـهُ أَحْمَـدُ وَالنَّسَـائِيُّ وَاَلتِّرْمِـذِيُّ أَيْضًـا مِـنْ حَدِيثِ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عَمْـرٍو عَـنْ اَلنَّبِـيِّ ﷺ [5] وَهِ يَ اَلَّتِـي تَخْـرِقُ اَلْحُجُبَ كُلَّهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى اَللَّهِ ﷻ .

وَفِي اَلتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَـالَ : ﷺ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اَللَّهِ حِجَابٌ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِ ﷺ [6]

---

1 - في نسخة (س) ، (ع) [حلال].

2 - سقطت من نسخة (س) ، (ع) .

3 - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وسقطت من باقي النسخ .

4 - قال الهيثمي في المجمع 1/ 31 رواه البزار ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود .

5 - تقدم ص 41 .

6 - قال الشيخ أسامة عبد العظيم في حاشيته رسالة كلمة الإخلاص ص 45 . وإنما تكون ثمن الجنة عند الوفاء بحقها والالتزام بحقوقها والارتباط بحدودها والقيام بواجباتها لا بمجرد النطق بها فحسب .

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ اَلسَّمَاوَاتِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى اَلْعَرْشِ مَا اُجْتُنِبَتْ اَلْكَبَائِرُ ﷺ [7]

وَيُرْوَى عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : ﷺ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَللَّهِ حِجَابٌ ، إِلَّا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، كَمَا أَنَّ شَفَتَيْكَ لَا تَحْجُبُهَا ﷺ [2] كَذَلِكَ لَا يَحْجُبْهَا شَيْءٌ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اَللَّهِ ﷺ [3] .

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ : مَا مِنْ عَبْدٍ يُهَلِّلُ تَهْلِيلَةً فَيُنَهْنِهُهَا شَيْءٌ دُونَ اَلْعَرْشِ وَهِيَ اَلَّتِي يَنْظُرُ اَللَّهُ إِلَى قَائِلِهَا ، وَيُجِيبُ دُعَاهُ .

خَرَّجَ اَلنَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ اَلْيَوْمَ وَاللَّيْلَةِ مِنْ حَدِيثِ رَجُلَيْنِ مِنْ اَلصَّحَابَةِ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ اَلْمُلْكُ وَلَهُ اَلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخَلِّصًا بِهَا رُوحَهَ ، مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبَهَ وَلِسَانَهُ ، إِلَّا فَتَقَ اَللَّهُ لَهُ اَلسَّمَاءَ ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ اَلْأَرْضِ ، وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اَللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ ﷺ [4]

وَهِيَ اَلْكَلِمَةُ اَلَّتِي يُصَدِّقُ اَللَّهُ قَائِلُهَا .

---

7 - أخرجه أحمد في مسنده 5/233 ، 247 بلفظ " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة " . وأبو داود بلفظ [دخل الجنة] في كتاب الجنائز / باب في المتقين رقم (3116) والحاكم في مستدركه 1 51 ، 500 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

2 - عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يغير إذا طلع الفجر . وكان يستمع الأذان . فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار . فسمع رجلاً يقول : الله أكبر . الله أكبر : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " على الفطرة " ثم قال ، أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : " خرجت من النار " فنظروا فإذا هو راعي معزى . أخرجه مسلم في كتاب الصلاة / باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان رقم (382) . قال الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ : [فقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لمن قال : الله أكبر . :"على الفطرة " . أفاد فائدة . وهي : أن هذا القول وما يدل عليه من توحيد الربوبية ، هو في الفِطَر مستقرٌّ ، ولذا لم يحكم بنجاته من النار وإسلامه إلا بقوله : أشهد أن لا إله إلا الله . شهادة متضمنة نفي كل معبود سوى الله . وهو توحيد الألوهية . ودلالة هذا ظاهرة] من كتاب "هذه مفاهيمنا" ص 113 .

3 - عن يعلى بن شداد قال : حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدّقه قال : كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : " هل فيكم غريب " يعني أهل الكتاب . فقلنا : لا يا رسول الله . فأمر بغلق الباب وقال : " ارفعوا أيديكم " وذكر الحديث . أخرجه أحمد في مسنده 4/124 . والحاكم في المستدرك 1/501 وقال : حال إسماعيل بن عياش يقرب من الحديث قبل هذا . فإنه أحد أئمة أهل الشام . وقد نسب إلي سوء الحفظ ، وأنا على شرطي في أمثاله . وقال الذهبي في التلخيص : راشد ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه دُحَيْم . وقال الهيثمي في المجمع 1/24 : رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثقون . وقال أيضًا في 10/84 : رواه أحمد، وفيه راشد بن داود، وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات . وقال الألباني في حاشية كتاب كلمة الإخلاص ص 55 : وفي سنده ضعف وحسنه المنذري .

4 - أخرجه أحمد في المسند 5/169 وهناد السري في كتاب الزهد، رقم (1071) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/84 : رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدَّث به عن أشياخه عن أبي ذر ، ولم يسم أحدًا منهم . وحسنه الألباني .

كَمَا خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ قَالَ : إِذَا قَالَ اَلْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ, وَاَللَّهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ ، وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا, وَأَنَا أَكْبَرُ, وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ يَقُولُ اَللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي [1] وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ اَللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ اَلْمُلْكُ وَلَهُ اَلْحَمْدُ ، قَالَ اَللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، لِي اَلْمُلْكُ ، وَلِي اَلْحَمْدُ . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ, وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ ، قَالَ اَللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي . وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تُطْعِمْهُ اَلنَّارُ [2] .

وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ اَلنَّبِيُّونَ ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ [3]

وَهِيَ أَفْضَلُ اَلذِّكْرِ .

كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ اَلْمَرْفُوعِ : أَفْضَلُ اَلذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ [4]

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اَللَّهِ -تَعَالَى- لَا يَقْبَلُ اَللَّهُ عَمَلاً إِلَّا بِهَا [5] .

---

1 - أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل لا إله إلا الله ، رقم (3797) وفي الزوائد : في إسناده زكريا بن منظور، وهو ضعيف . أفاده محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله .

2 - أخرجه أحمد في المسند 2/ 359 والحاكم 4/256 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الحافظ الذهبي في التلخيص بقوله : صدقة ضعفوه . وقال الحافظ الهيثمي في المجمع 10/85 رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات .

3 - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وفي باقي النسخ [فصمتهن] .

4 - كذا وقع في مخطوطتنا مختصرًا . والحديث أخرجه أحمد في المسند 2/170 ، 225 وفي الزهد ص 67 والحاكم في المستدرك 1/49 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجا للصقعب بن زهير فإنه ثقة قليل الحديث . وقال الذهبي : صحيح الإسناد والصقعب ثقة ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً . وقال الهيثمي في المجمع 10/87 : رواه البزار وفيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس ، وهو ثقة . وبقية رجاله رجال الصحيح.

5 - كذا وقع في مخطوطتنا عَزْو الحديث في المسند وإلى عبد الله بن عمرو . قال الألباني -حفظه الله- : [يعني المسند وعزوه إليه خطأ كما أن عزوه إلى حديث عبد الله بن عمرو خطأ، وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري] أ . هـ .

كَمَا فِي اَلصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ اَلنَّبِيِّ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ اَلْمُلْكُ وَلَهُ اَلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ اَلشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ [1] .

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ اَلنَّبِيِّ مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ [2]

وَفِي اَلتِّرْمِذِيِّ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : مَنْ قَالَهَا إِذَا دَخَلَ اَلسُّوقَ ، وَزَادَ فِيهَا : يُحْيَي وَيُمِيتُ كُتِبَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَ عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرُفِعَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ دَرَجَةٍ [3]

---

1 - أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (1393) وابن حبان رقم (2324) كما في موارد الظمآن، والحاكم في المستدرك 1/528 ، 529 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/85 : رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف .

2 - عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال : " إن الله سيُخَلِّص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب . بلى إن لك عندنا حسنة . فإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظْلَم . قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء" . هذا الحديث العظيم الجليل أخرجه الإمام أحمد في مسنده 2/213 والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم (2639) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجه في كتاب الزهد / باب ما يُرْجَى من رحمة الله يوم القيامة رقم (4300) والحاكم في المستدرك 1 /6 ، 529 وقال : هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين ، وهو صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ظن البعض وفهم من هذا الحديث أن مجرد القول فقط يكفي للنجاة من النار والفوز بالجنان ، وقالوا : إن هذا الرجل لم يلق الله إلا بكلمة التوحيد . وهذا ثمرة فهم النصوص مُقَطَّعَة مُجَزَّأَة ، كل نص على حِدَة ، وضربوا كلام الله وكلام رسوله بعضه بعضًا، وخالفوا ما عليه سلف هذه الأمة في مسألة الإيمان من أنها قول وعمل . وماذا يقال في المنافقين الذين كرهوا ما أنزل الله وهم يقولون: لا إله إلا الله ؟ وماذا يقال فيمن يسبُّون الله ورسوله، ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين ليل نهار ، وهم يقولون: لا إله إلا الله؟ وماذا يقال في قول أهل السنة : إن الإيمان قول وعمل ؟ [قال الحميدي : سمعت وكيعًا يقول : أهل السنة يقولون : الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون : الإيمان قول . والجهمية يقولون : الإيمان المعرفة . وفي رواية أخرى عنه . وهذا كفر] "الإيمان" لابن تيمية ص 264 . وقال سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان . [قول وعمل ونية وسنة ؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق . وإذا كان قولاً وعملاً بلا سنة فهو بدعة] ابن تيمية كتاب "الإيمان" ص 147. قال الحافظ في الفتح : [وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيدٍ وغيرهم من الأئمة، وروي بسنده الصحيح عن البخاري قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء من الأمصار ، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. وأطنب ابن أبى حاتم واللالكائى في نقل ذلك بأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين ، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين . وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة . وقال الحاكم في مناقب الشافعي : حدثنا أبو العباس الأصم ، أنا الربيع ؛ قال : سمعت الشافعي يقول : "الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" . وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد : يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية] انتهى من "فتح الباري" 1/40 . وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم : "سألت أبي وأبا زرعة - رضى الله عنهما - عن مذاهب أهل السنة . وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار . وما يعتقدان في ذلك ؟ فقالا : "أدركنا العلماء في جميع الأمصار . حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا . فكان من مذهبهم : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص] . عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي ص 37 ، 38 . وقال أبو زرعة - رحمه الله تعالى - [الإيمان عندنا قول وعمل. يزيد وينقص. ومن قال غير ذلك فهو مبتدع مرجئ] المصدر السابق ص 150 . فوجب فهم هذا النص وغيره ضمن أطر الشريعة حتى تأخذ النصوص بحُجَز بعضها البعض ، فلا تتمزق الشريعة أشلاء متناثرة ، كل يأخذ بحظه وما تهواه نفسه ، ويكون فينا نصيب من قوله تعالى : { الذين جعلوا القرآن عضين } .

3 - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات رقم (3518) وضعَّفه بقوله : هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

وَفِي رِوَايَةٍ : ﷺ وَبُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي اَلْجَنَّةِ ﷺ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَمَانٌ مِنْ وَحْشَةِ اَلْقَبْرِ وَهَوْلِ اَلْحَشْرِ :

كَمَا فِي اَلْمُسْنَدِ وَغَيْرُهُ ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﷺ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نَشُورِهِمْ ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ قَدْ قَامُوا يَنْفُضُونَ اَلتُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ ، وَيَقُولُونَ : اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي أَذْهَبُ عَنَّا اَلْحَزَنَ [فَاطِر : 34] ﷺ [1]

وَفِي حَدِيثِ مُرْسَلٍ : ﷺ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ اَلْمَلِكُ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ أَمَانًا مِنَ اَلْفَقْرِ ، وَأُنْسًا مِنْ وَحْشَةَ اَلْقَبْرِ ، وَاسْتَجْلَبَ بِهِ اَلْغِنَى ، وَاسْتَقْرَعَ بِهِ بَابَ اَلْجَنَّةِ . ﷺ

وَهِيَ شِعَارُ اَلْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنَ اَلْقُبُورِ :

قَالَ اَلنَّضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ : بَلَغَنِي أَنَّ اَلنَّاسَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ كَانَ شِعَارُهُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ .

وَقَدْ خَرَّجَ اَلطَّبَرَانِيُّ حَدِيثًا مَرْفُوعًا : ﷺ إِنَّ شِعَارَ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ عَلَى اَلصِّرَاطِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﷺ [2]

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلِهَا أَبْوَابَ اَلْجَنَّةِ اَلثَّمَانِيَةِ :

يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ . كَمَا فِي حَدِيثِ عُمَرَ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِيمَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ بَعْدَ اَلْوُضُوءِ ، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ [3]

وَفِي اَلصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﷺ مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اَللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ اَلْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ اَلنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ اَللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

1 - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات / باب دعاء أم سلمة، رقم (3590) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

2 - كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ما عدا نسخة (ط) فوقع فيها [تحجبهما] ولعله تصحيف .

3 - لم أقف عليه .

اَلْقُبُورِ فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ مِنَ اَلْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ [1]

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ مَنَامِهِ اَلطَّوِيلِ ، وَفِيهِ قَالَ : ﷺ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي اِنْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ اَلْجَنَّةِ ، فَأُغْلِقَتْ اَلْأَبْوَابُ دُونَهُ ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، فَفَتَحَتْ لَهُ اَلْأَبْوَابَ ، وَأَدْخَلَتْهُ اَلْجَنَّةَ ﷺ [2]

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ أَهْلَهَا وَإِنْ دَخَلُوا اَلنَّارَ بِتَقْصِيرٍ فِي حُقُوقِهَا فَإِنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا :

وَفِي اَلصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﷺ قَالَ اَللَّهُ ﷻ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي ، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ﷺ [3]

وَخَرَّجَ اَلطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﷺ إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ يَدْخُلُونَ اَلنَّارَ بِذُنُوبِهِمْ ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلِ اَللَّاتِ وَالْعُزَّى مَا أَغْنَى عَنْكُمْ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ، فَيَغْضَبُ اَللَّهُ لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ اَلنَّارِ, فَيَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ ﷺ [4]

وَمَنْ كَانَ فِي سُخْطِهِ مُحْسِنًا فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا مَا رَضِيَ ، لَا يُسَوِّي بَيْنَ مَنْ وَحَّدَهُ, وَإِنْ قَصَّرَ فِي حُقُوقِ تَوْحِيدِهِ وَبَيْنَ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ .

---

1 - أخرجه النسائي في عمل اليوم الليلة رقم (28) .

2 - كذا وقع في مخطوطتنا، وسقط من جميع النسخ المطبوعة .

3 - أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (30) و(31) . والحاكم في المستدرك 1/5 وقال : هذا حديث صحيح لم يُخَرَّج في الصحيحين وقال الذهبي في التلخيص : أوقفه شعبة وغيره . وابن حبان رقم (2325) موارد، وأبو يعلى بلفظ قريب منه رقم (6153) و (6154) و (6163) . وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل لا إله إلا الله رقم (3794) والترمذي في كتاب الدعوات / باب ما يقول العبد إذا مرض، رقم (3430) وقال : هذا حديث حسن غريب .

4 - أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج / باب جامع الحج، رقم (246) قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك في إرساله . أفاده محمد فؤاد عبد الباقي - رحمه الله - والترمذي في كتاب الدعوات / باب في دعاء يوم عرفة رقم (3585) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . والحديث حسن بالشواهد .

قَالَ بَعْـضُ اَلسَّـلَفِ : كَـانَ إِبْرَاهِيـمُ - عَلَيْـهِ اَلسَّـلَامُ - يَقُـولُ : اَللَّهُمَّ لَا تُشْرِكُ مَنْ كَانَ يُشْرِكُ بِكَ بِمَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِكَ .

كَانَ بَعْضُ اَلسَّلَفِ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اَللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتُ عَنْ أَهْلِ اَلنَّارِ إِنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاَللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اَللَّهُ مَـنْ يَمُـوتُ [اَلنَّحْلُ : 38] . وَنَحْنُ نُقْسِمُ بِاَللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِنَا : لَيَبْعَثَنَّ اَللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، اَللَّهُمَّ لَا تَجْمَعْ بَيْنَ أَهْلِ اَلْقَسَمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ .

كَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ يَقُـولُ : إِنْ طَـالَبَنِي بِبُخْلِـي طَـالَبْتُهُ بِجُـودِهِ . وَإِنْ طَالَبَنِي بِذُنُوبِي طَالَبْتُهُ بِعَفْوِهِ ، وَإِنْ أَدْخَلَنِـي اَلنَّـارَ أَخْبَـرْتُ أَهْـلَ اَلنَّـارِ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّهُ .

مَـا أَطْيَـبَ وَصْلَـهُ وَمَـا أَعْـذَبَـهُ

وَمَـا أَثْقَـلَ هَجْـرَهُ وَمَا أَصْعَبَـهُ

فِـي اَلسُّخْـطِ وَفِـي اَلرِّضَى مَا أَهْيَبَهُ!

اَلْقَـلْـبُ يُحِبُّــهِ وَإِنْ عَذَّبَـــهُ!

وَكَانَ بَعْضُ اَلْعَارِفِينَ يَبْكِي طُولَ لَيْلِـهِ ، وَيَقُـولُ : إِنْ تُعَـذِّبْنِي فَـإِنِّي لَكَ مُحِـبٌّ ، وَإِنْ تَرْحَمْنِـي فَـإِنِّي لَـكَ مُحِـبٌّ! اَلْعَـارِفُونَ يَخَـافُونَ مِـنَ اَلْحِجَابِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ مِنَ اَلْعَذَابِ .

قَالَ ذُو اَلنُّونِ : خَوْفُ اَلنَّارِ عِنْدَ خَوْفِ اَلْفِرَاقِ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ

كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَاي ! لَوْ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابِكَ كُلِّهِ, كَانَ مَا فَاتَنِي مِنْ قُرْبِكَ أَعْظَمَ عِنْدِي مِنَ اَلْعَذَابِ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لَوْ طَرَدَكَ مَا كُنْتَ تَفْعَلُ ؟. فَقَالَ :

أَنَا إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ اَلْحُبِّ وَصْلاً رُمْتُ فِي اَلنَّارِ مَنْزِلاً وَمَقِيلاً

ثُمَّ أَزْعَجْتُ أَهْلَهَا بِنِدَائِي بُكْرَةً فِي عَرَصَاتِهَا وَأَصِيلاً

مَعْشَرَ اَلْمُشْرِكِينَ نُوحُوا عَلَى مَنْ يَدِّعِي أَنَّهُ يُحِبُّ الجليلا

لَمْ يَكُنْ فِي اَلَّذِي اِدَّعَاهُ مُحِقًّا فَجَزَاهُ بِهِ اَلْعَذَابَ اَلطَّوِيلَا!

اَللَّهَ اَللَّهَ! أَيُّهَا اَلنَّاسُ تَمَسَّكُوا بِأَصْلِ دِينِكُمْ

اِجْتَهَدُوا اَلْيَوْمَ فِي تَحْقِيقِ اَلتَّوْحِيدِ, ، فَإِنَّهُ لَا يُوَصِّلُ إِلَى اَللَّهِ سِوَاهُ ، وَاحْرِصُوا عَلَى اَلْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّي مِنْ عَذَابِ اَللَّهِ إِلَّا إِيَّاهُ .(1)

1 - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات / باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة رقم (3383) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم . وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل الحامدين رقم (3800) وابن حبان كما في الموارد رقم (2326) . والحاكم في المستدرك 1/498 ، 503 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

مَـا نَطَـقَ اَلنَّـاطِقُونَ إِذْ نَطَقُوا أَحْسَـنَ مِـنْ لَا إِلَـــهَ إِلَّا هُـو

تَبَـارَكَ ذُو اَلْجَــلَالِ وَمِــنْ أَشْــهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُــو

مَـنْ لِذُنُوبِـي وَمَـنْ يُمَحِّصُهَا غَـيْـرُكَ يَـا مَــنْ لَا إِلَــهَ إِلَّا هُو

جِنَــانُ خُـلْدٍ لِمَـنْ يُوَحِّـدُهُ أَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَــهَ إِلَّا هُــو

نِيرَانُـهُ لَا تُحْــرِقُ مَـــنْ] حَقَّـقَ] [1] أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُـوَ

أَقُولُهَـا مخلصًــا بِـلَا بُخْـلٍ أَشْهَـدُ أَنْ لَا إِلَــهَ إِلَّا هُــو

آخِرُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اَللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، وَحَسْبُنَا اَللَّهُ وَنِعْمَ اَلْوَكِيـلُ, وَلَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاَللَّهِ اَلْعَلِيِّ اَلْعَظِيمِ .

1 - كذا وقع في مخطوطتنا، وفي باقي النسخ [أحب كلمة إلى الله -تعالى- لا إله إلا الله ....] .